# التعويذة

مجموعة قصصية

تأليف

د. محمود الهادى

obeikan.com

**طبعة ٢٠١٧**

الهادى، محمود

التعويذة/د .محمودالهادى ،تصميم الغلاف ريم السخاوى– الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

١٦٨ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٣ ٤٤٣ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية أ- السخاوى، ريم مصمم

ب - العنوان

٨١٣

obeikan.com

# التعويذة

مجموعة قصصية

تأليف

د. محمود الهادى

obeikan.com

رئيس مجلس الإدارة

**عادل المصرى**

عضوا مجلس الإدارة

المنتدب

**نوران المصرى**

**رقم الإيداع**

**٢٠١٦/٩٩٤٠**

**الترقيم الدولى**

**٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٤٤٣-٣**

**الطبعة الاولى**

**طبعة ٢٠١٧**

**الكتاب : التعويذة**

**المؤلف : د. محمود الهادى**

**الغلاف : ريم السخاوى**

**الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م**

**٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة**

**atlas@innovations-co.com**

**www.atlas-publishing.com**

**تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥**

**فاكـــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨**


****

# إهداء

إلى الصديقة والحبيبة: زوجتي الغالية.

إلى من كتبت من أجلهم: محمد وجنا.

إلى من أحببت الحياة بوجودهم: والديَّ الكريمين.

إلى السند والأب الثاني: أخي.

إلى الركن المضيء في الحياة: أخواتي.

إهداء إلى النفوس النقية التي لا زالت حاضرة رغم تلوث الحياة.

إهداء إلى الشخص المجهول.. نعم الإهداء لك أنت.

oberikan.com

obeikan.com

# المقدمة

نتعثر في حياتنا بروايات تتكرر مشاهدها، نتناساها وكأنها لحظة عابرة، تدور الأيام رحاها لنجد أن روايتنا مشهد عابر في حياة الآخرين، نتعثر محاولين النهوض، تمتد أيادينا تبحث عن خلاص فتعود خائبة بدون أياد تطبب أوجاعها، نقرأ روايات ونسمع حكايات، نستمتع بأحداثها دون شغف لتسبح في بحور النسيان، وعندما تغرق أحداثنا في أخرى تشبهها، نتذكر أن روايتنا تتكرر بعض فصولها لروايات قد سبقتها فيما مضى.

نروي حكاياتنا ويروي آخرون رواياتهم، قد تكون البطولة من نصيبنا في رواية أحدهم وقد نعيش دور الكومبارس في قصص غيرهم، من عاش دور البطولة يأبى أن يعيش غيرها، لكن الزمن لا يعترف بقوانيننا، تتغير الأحوال لتغلق ستار النهاية أن البطولة لم تعد من نصيبنا، وأن الزمن وحده ليس له أمان.

رقصات حزينة قصصها من الواقع قد تتعثر بإحداها في أيامك، لكن احذر أن تكون بطلاً لإحدى قصصها في يوم لم يأت بعد.

**المؤلف**

obeikan.com

# رقصات حزينة

يتقدم خمسة رجال بفتح النعش وإخراج الجثمان ليتلقاه الحانوتي ليواريه مثواه الأخير، ينزل درجات القبر ويتمتم: الله يخربيتك أنت تقيل كدة ليه... ربنا يتوب علينا من قرف دي شغلانة.

ينادي أحد أقارب المتوفى: شد حيلك يا شيخ... مهيَّاش فسحة.. خلص ورانا مصالح.

يتمتم واللعنات تصب من فيه: ما تتلم أنت راخر مكانتش خمسين جنيه عامية هتذلني بيهم، عمى يمسك ركبك، ربنا يقصف عمرك وتيجي تحت إيدي ساعتها مش هرحمك. بالخارج يقف شاب عشريني العمر ذو لحية قصيرة يرتدي جلبابًا أبيض قصير، يخطب في المشيعين والعرق يتصبب على جبينه: يا أيها الناس، يا أيها الناس اعملوا لمصيركم، فغدًا سنلقى نفس المصير، يقول الرسول الكريم: إذا مات ابن آدم... يتلعثم في كلامه وقد بدا عليه النسيان: إذا مات ابن آدم..

يزداد تلعثمه فيتصبب العرق الغزير ليملأ وجهه، فيمسحه ليمتص توتره... يمد يده إلى جيبه ليخرج ورقة يقرأ منها ويلعن

حظه، فلقد بات ليلة أمس يحفظ تلك الخطبة يا له من موقف لا ينساه ما تبقى له من حياة، يمسك الورقة ويكمل خطبته وسط ضحكات مكتومة من الحاضرين.

يدنو أحد الشباب لأذن صاحبه بابتسامة ماكرة: مش ده الواد سيد اللي مسكوه بيعاكس بنت الجيران؟

يميل صاحبه برأسه وينظر بعين خبيثة: لأ هو الحمد لله ربنا تاب عليه وبقى بيشرب حشيش.

يبتسم ابتسامة أكثر خباثة مردفًا: بس بعدها تاب ومشي في سكة الوعظ.

يكمل الخطيب خطبته: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد .....

تهب نسمة هواء خفيفة فيساعدها توتره في إفلات الورقة من يده لتطير وسط المشيعين، يمسكها أحدهم ليدسها في جيبه ليترك الخطيب وسط تلعثم بلا نهاية: وولد ... وولد ... اعملوا لهذا فغدًا هي دار القرار... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. مع الكلمة الأخيرة ترك لقدميه العنان ليخرج هاربًا وسط ضحكات أوشكت أن تعلو المكان.

- يا جماعة عيب كدة اعملوا حساب حرمة المكان، ولا الناس خلاص ما بقاش عندها أي حياء!!!

هكذا تدخل أحد الحاضرين ليوقف تلك المسرحية الهزلية، يتخلل تلك الفوضى صراخ زوجة المتوفى شابة في الثلاثين من عمرها: ما تسيبنيش... خدني معاك... سايبني فين لوحدي.

تمصمص إحدى السيدات شفتيها: خدك ربنا يا بعيدة، ما تسيبك من السهوكة اللي أنت فيها دي، يعني الناس مش عارفة الفولة واللي فيها.

تتمتم حماتها: من بقك لباب القبر، قبر يلم العفش.

يخرج الحانوتي ليعلن انقضاء مراسم الدفن فينصرف المشيعون قبل مواراة التراب ليصب عليهم الحانوتي غضبه: إيه العالم دي، كنتم خليكوا في بيوتكوا وأنا أحملكم الجنازة ع الإنستجرام.

داخل القبر يعم الظلام ولا شيء سوى رائحة الموت، يأخذ الميت جانبًا من القبر وسط سكون تام.

يتحرك الكفن حركات بطيئة تزداد سرعتها لتخرج فجأة كف تشير إلى السماء.

●●●

- حاسة بحاجة جوايا بتقول إنها مش أمي.

تهز كتفيها لأعلى استغرابًا: لكن بحبها وحاسة إنها بتحبني قوي، ومعرفش ليه كل الناس بتخاف منها، ليها رهبة غريبة ونظرة بتفقد اللي قدامها الثقة في نفسه.

تصل إلى باب البيت فتطرقه طرقات خفيفة فيأتي الصوت متسائلاً: من بالخارج؟

ترد الفتاة بتلعثم: أنا فاتن يا ماما عاليا.

يفتح الباب مصدرًا صوتًا مرعبًا لتظهر منه عاليا ذات الثمانين عامًا بهيئتها المخيفة وشعرها الأبيض الغير مهذب ناظرة إلى الفتاة بعين شبه مغلقة: اتأخرتي ليه؟

لم تنتظر الجواب لتكمل مع إعطائها ظهرها لتدخل داخل البيت بحركات شبه زاحفة بقدميها على الأرض وظهرها شبه المنحني: حصليني على المعمل.

تتبعها الفتاة في وقار قابضة بكلتا يديها داخل حجرة كبيرة تحتل الفوضى كل أركانها وقد استقر على منضدة في وسط الغرفة قارورات على ما يبدو بها مواد كيماوية تحيط بها أداوات زجاجية، تشرع العجوز في إمساك إحداها لترجها وتوجه الحديث للفتاة قائلة: مش هتغيري رأيك وتتعلمي مني سر المهنة؟

تهز الفتاة رأسها بالنفي دون أن تنبت شفتاها بكلمة، ثم تحاول جاهدة أن تتملك الشجاعة لتبدأ معها الحديث: أنت ضميرك ما بيتعبش من الشر اللي بتعمليه في الناس؟

تنظر إليها العجوز نظرة حادة في صمت فتهز الفتاة من داخلها مما يفقدها الثقة ويشعرها بالتوتر، فتتنحنح لتتملك نفسها واستعادة جزء من الثقة المفقودة، تكمل العجوز عملها وتجيب قائلة: الشر ده موهبة وبيحسسني بالسعادة، كل واحد في الدنيا ليه طبيعة خاصة، فيه ناس بتحس بالسعادة لما تديها لغيرها، وفيه ناس بتحس بالسعادة لما تلاقي غيرها في مصيبة، وفيه ناس بتحس بالسعادة لما هي تصنع الشر للناس وأنا من النوع ده.

تتحرك إليها في بطء ثم تضع يدها على كتفها وتكمل حديثها: أنا بشغل مخي بس، بسيطر على نفسية الناس وأهز ثقتهم في نفسهم، ساعتها بيكونوا في إيدي زي اللعبة. تحرك يدها إلى أعلى وتعتصرها وتردف: أشكلها زي ما أنا عايزة، وبسبب معرفتي بأدق تفاصيل حياتهم بأعرف أوجه نفسيتهم بالشكل اللي أنا عايزاه، مثلاً الشيخ سيد قابلته قبل الجنازة وهزيت ثقته في نفسه وقولتله اليوم ده مش يومك وحاسة

إن حاجة وحشة هتحصلك انهاردة وهتكون مسخرة الناس كلها، صدقها وتملكته وعمل اللي هو خايف منه.

ثم ضحكت ضحكات متقطعة وقالت: بذمتك مش أستحق فيها دكتوراه؟

تمتمت الفتاة وقالت: أنت شريرة والشر ماليكي، ناقصلك مكنسة وبرنيطة وتبقي الساحرة الشريرة.

استيقظت من خيالها لتجد العجوز أمامها مباشرة لتقول لها: سرحتي في إيه ما بترديش عليَّ ليه؟

هزت رأسها وأجابت: كنت بفكر بتعملي إيه بتجاربك دي وإزاي بتعالجي الناس بيها مع إنك عمرك ما استعمليتها لنفسك؟

تقترب العجوز لأقرب كرسي فتجلس عليه ثم تمسك بسيجارة فتشعلها فتأخذ نفسًا فتنفثه في الهواء مع إغماض إحدى عينيها وتقول: مفيش ساحر بيجرب السحر على نفسه، يا عزيزتي كلنا نصابين وكلنا بنبيع الوهم.

أخذت نفسًا آخر من السيجارة ثم قامت وأسندت إحدى يديها على الكرسي والأخرى ممسكة بالسيجارة وقالت: هقولك على سر.

اغرورقت عيني الفتاة وتأهبت لسماعه بانتباه شديد لتكمل العجوز حديثها: عشت عمري كله أجرب تركيبة جديدة لحد ما وصلت لها وأخيرًا وصلت لها من يومين وسميتها ترياق جولييت.

سكتت برهة ثم تركت الكرسي وألقت السيجارة على الأرض لتدوسها بقدمها وتتحرك إلى الفتاة وتجيب: ترياق جولييت، في قصة روميو وجولييت أوهمت جولييت أهلها أنها ميتة ودخلت القبر بسبب عقار صنعه الساحر لها، عشت عمري كله أفكر أعمل عقار زي ده.

ثم لمعت عيناها زهوًا وقالت: ووصلت له من أسبوع، وقتها الفرحة مكنش لها وصف، وكملت الفرحة لما الباب في اليوم ده خبط عشر مرات من ناس جايين لنفس الغرض وقالولي إن جعفر مريض وعايزين دوا يموته، الكل عارف شره وعداوته، حتى معايا، ساعتها فكرت لو مات والعملية انكشفت هروح فيها.

أدارت لها ظهرها وهي تتحرك ببطء وقالت: مخبيش عليكي خفت على نفسي. وفجأة روح الانتقام نمت جوايا وقلت ليه محققش غرضهم وأحقق انتقامي منه والترياق جه في بالي قولت ده أفضل انتقام مني له.

ثم تكلمت بصوت شبه هامس: ويبقى أفضل انتقام حصل في حياتي.

ثم ضحكت ضحكات متقطعة شريرة أفقدت الفتاة صوابها لتهاجمها وهي تمسك كتفيها وتهزها في عنف صارخة: أنت شريرة، إزاي تعملي كده؟ لازم أعرف الناس حقيتك وأنقذ المسكين اللي دفنتيه بالحياة.

أزاحتها العجوز لتتركها الفتاة محاولة الخروج فتمسك العجوز بأداة حادة فتضربها على رأسها فتسقط غائبة عن الوعي فتتمتم العجوز قائلة: غبية، من غباؤك صدقتي أني أمك، صدقتي أني أخلف في سن الستين؟

ثم أزاحتها جانبًا وسارت لتصل لترياق جولييت لتنقل نظرها بينه وبين الفتاة وتصمت للحظات ثم تبتسم وتلمع عينيها لمعة الشر والدهاء.

●●●

داخل القبر يعم الظلام ولا شيء سوى رائحة الموت، يأخذ الميت جانبًا من القبر وسط سكون تام، يتحرك الكفن حركات بطيئة تزداد سرعتها لتخرج فجأة كف تشير إلى السماء تتبعها

الأخرى لتبحث عن الخلاص، تمتد يديه لتخلصا وجهه بصعوبة ليتنفس الهواء، يفتح عينيه ويغلقهما فلا يرى سوى الظلام يتحسس المكان بيده فلا تعود سوى بالتراب، تتسلل إلى أنفه رائحة غريبة لم يعتد عليها من قبل، ينتابه التشويش للحظات فلم يستوعب بعد أين هو الآن.

يحبو على يديه وقدميه ليستكشف المكان فترتطم يديه بعظام الموتى، يرتجف جسده فجأة يتبعها صدمة يتصلب على إثرها في مكانه فيبتسم على إثرها في هيستيريا قائلاً: لأ... أكيد اللي أنا حاسس بيه ده غلط.

يتحسس جدار القبر بيديه في الظلام فتختبر الجدران ليقف فجأة بعد أن اكتشف الحقيقة، أنه الآن داخل القبر الذي بناه منذ عامين بجدرانه المميزة فلقد بناه بطريقة فريدة بحجارة تعلوها أسطر من الطوب تتكرر بشكل دوري، ينتاب عقله التشويش وتقتله التساؤلات عن سبب مجيئه لهذا المكان، يتملكه الخوف فجأة بعد أن تذكر أنه الآن بداخل القبر مع عمه الذي قتله منذ عام، تقبض يديه على الكفن لتحتضنه على صدره ليتوارى بجانب الحائط باحثًا عن جزء من الأمان، يسمع حركة أقدام تقترب من القبر فيدخل لقلبه الأمل، يتحرك ناحية الصوت ليرفع أذنيه لأعلى ليتحسس الصوت الذي يصل إليه بصعوبة.

تقترب شابة تخطت العشرين وقد توشحت بالسواد من القبر وتضع يدها على مقدمته وتبدأ حديثها: عارفة إنك سامعني، وعارفة كمان إنك محتاج المساعدة دلوقتي أكتر من أي وقت مر.

يسمع جعفر تلك الكلمات فيدب الأمل لقلبه لكنها تكمل: لكن مش هديك الفرصة دي.

يصرخ من الداخل في هيستيريا طالبًا النجاة، يأبى الصوت أن يخرج من القبر فحدود القبور جدرانها.

تهم بالذهاب لكنها تعود وتقول: عارفة إنك محتاج مسامحتي ليك لكن مش هسامحك على حياتي اللي دمرتها، فتاة مغتصبة وأب مات قهرًا على بنته، وبقى مصيري هربانة من الناس وشبابي بيضيع مني، مش هديك صك غفراني وهسيبك لآثامك تعذبك في قبرك، اللي بيؤلمني إني حبيتك، حب الضحية لجلادها، مرض نفسي مش هتعالج منه، ومع حبي كان جوايا روح الانتقام، رحلت قبل ما حقق انتقامي ومبقاش غير نار بيزيد لهيبها جوايا، نار انتقام مش لقياه، وفي الحقيقة بأنتقم من نفسي مع إني الضحية، ضحية....

يقطع حديثها نداء الحانوتي قادمًا من بعيد: بتعملي إيه عندك يا ست؟

توليه ظهرها وتغادر المكان ليصب الحانوتي لعنته كعادته.

يمد جعفر يده يتحسس أرضية القبر قبل أن يجلس عليها مسندًا ظهره على حائطه ويتنهد تنهيدة عميقة يستنشق بها رائحة القبر عن غير قصد تاركًا نفسه للتساؤلات تقتله: أي إنسان في صورة حيوان كنت، رقصت مع الدنيا على كل ملذاتها لا المتعة استمرت ولا عذاب الضمير رحل، دلوقتي برقص رقصة الموت رقصة حزينة على أشواك الماضي، بيني وبين الحرية طوبة مش عارف أعديها، طوبة كنت بقويها كل يوم بنار الشر لحد ما اتحجرت ومش عارف أكسرها، مش لاقي أي بصيص نور بين فراغات الطوب كنت بسدها كل يوم بخطيئة جديدة، أتاريني ببني قبر عميق يكتم روايح عفن ذنوب وآلام ناس كنت بتلذذ بيها، اتقفلت كل أبواب الخلاص ومفضلش إلا باب الرحمة اللي عمري في يوم ما اتعاملت بيه مع البشر، إزاي أرفع إيديا لربنا بالخلاص والخطايا في إيديا تقيلة بتشدها للأرض اللي بقت أقرب ليها من السما.

يصمت برهة ثم يقول في تحدٍ: هرفعها، رحمته واسعة وأكيد هيقبل مني.

أمسك الكفن بإحدى يديه ليواري سوأته ثم أسند الأخرى على الأرض لينهض فارتطمت برفات عمه فصاح فرحًا فلقد وجد وسيلته للنجاة.

●●●

يسدل النهار ستاره ليواري آلامًا وجوارح خلف قضبان واهية تدعى النسيان؛ ليريح جفون أنهكها اللهث خلف مصاعب الحياة، تبحث فيه قلوب أمرضها العشق عن حضن ليل يدفئها من بعد برد قارص صنعه الجفاء، ترقص فيه الأسرار طربًا ففيه وُجدت الستار، مع أول خيط أسود تسقط الأقنعة، في الظلام يُخلع لباس القديس لتتبدل بلباس شيطان، فالآن الكل يتوارى عن أعين الناس.

متوشحًا بالليل يقبل الحانوتي على بيته الكائن في أحضان المقابر كطفل رضيع تحتويه يدي أم حنون، وسط ظلام دامس يتسلله نور ضعيف على استحياء، يفتح باب حجرة ابنه الذي أوشك قطار عمره أن يصل لسن العشرين، في وضع الجنين يحتل ركن من حجرته، يلقي نظرة حسرة تداعبها دمعة تستأذن الرحيل، يحارب أحزانه ليظفر بقوة الجأش ليبشر ابنه بأمل قد كفر هو أيضًا به من قبل وأغلق خلفه أبواب الإيمان: هتفضل

لإمتى حابس نفسك في سجن يأسك، انحنيت مع أول عاصفة واجهتك وأعلنت لها أنك غير جدير بأن تكون إنسانًا، سيبتك تلعن أيامك على أمل إن لعنتها في يوم تديك قبلة الحياة، شايفك كافر بكل شيء، كافر بوطنك وكافر بعلاقتك مع الناس، إمتى ترجع لطبيعتك، تعيش حياتك وأنا شايف ربيع عمرك بيضيع بإيديك، عارف إني معرفتش أنجيك من شر جعفر لما وشى بيك ودخلك المعتقل ظلم وضاع بيه حلمك بالكلية الجوية، لكن طالما رفعت راية الاستسلام مع أول عاصفة يبقى من الأولى إنك تودع الحياة، خليك في صمتك وعزلتك لحد ما تلاقيهم في يوم بيقدموك قربان للجنون.

هم بالذهاب فلم يعتد الجواب قبلاً، ناداه ابنه: أبي، أي حياة تريد لي بها السكنى، بدأتها بالحب فلم يبقى منه غير خنجر الهجر يداعب خاصري طامعًا الوصول إلى قلبي، تركت الحب لأبني صداقات قد تلاشت لأحيا على وهم الوفاء وأن المصلحة هي عنوان هذا الزمان، مددت يدي للحياة لأجد من يسحبني في غياهب السجون بذنب لم أقترفه في يوم من الأيام، بداخلي طاقة رهيبة لا أعرف الطريق لترويضها، أي حياة تريدني أن أحياها وفيها قربي من ربي إرهاب، وحبي لوطني خيانة، تبدلت المعاني وضاع القاموس، أصبحت العزلة أسلوب حياة والصمت

لغة والموت هدف صعب الوصول، أشتاق لحضن يحتوي عالمي، ويد تلتقط دمعتي وتخبرني بأن الدنيا لا تستحق العناء، ضل التفاهم بين جيلي وجيلكم فلم يعرف بعد طريق الرجوع، أنا لنا أن نلتقي والزمن بيننا وبينكم غير الزمان، كيف تشعر بي ولم تعش مأساتي. هدفك تسميني وكأنك تقدم حَمَلٌ لسكين اليأس على مذبح الحياة.

لم يرق الحديث للحانوتي مما أثار حفيظته لكنه حاول أن يتعامل بجزء من الحكمة فاقترب منه وجلس بجواره وترك الكلام ينوب عما بداخله: ناقم على الحياة ورافض تتكلم بلهجتنا، مشكلتك إنك بتحب تعيش دور الضحية، الأول حرر نفسك من قيود صنعتها خيالاتك، المشكلة مش إننا مش عارفين نفهمكم المشكلة إنكم اديتوا ضهركم لضهرنا ومشيتوا عكس الاتجاه وفي الأخر بتلوم إننا ضلينا عنكم الطريق، كان المفروض إنك تتشجع وتواجهنا وتحاول تقرب اللي أنت متخيل إننا فشلنا فيه. بتزرع في ساعة وعايز تحصد بعد يوم؟؟ عيشت مرحلتك وحاسس بيها وعارف إنك عايش مع صراعات جواك ضاعت منها طرق النجاة، هتعرف طريقك لما قطار العمر يفوتك، وقتها هتحس إنك وأدت زهرة عمرك في تراب الجحود، ساعتها الحسرة وحدها هتنادي على شباب ماضيك اللي ضيعته مع الأحزان، إن ضاع منك الحب

مـا تزعلـش، اللـي عشـقته اليـوم بكـره هتـدور لـه علـى ألـف طريـق للهـروب. القلـوب بتتغيـر ومفيـش حاجـة بتفضـل علـى حـال، عيـش زمانـك وقـاوم ومفيـش عظيـم بـدون معانـاة، لـو طالـت معاناتك سـنين اتأكد إن الأمـل ممكن يجيلك في لحظة، حاسـس بالجبـل اللـي علـى صـدرك.

ثم فرد ذراعيه وأضاف: ارمي عنك همومك.

ارتمى ولده في أحضانه وترك نفسه للبكاء.

مسـح بيـده علـى رأس ابنـه مـع احتضانهـا وشـرد بنظـره متمتمًـا: مـين فينـا ضحيـة التانـي ولا احنـا الاتنـين ضحايـا الزمـن؟ افترقـت الأجيـال وضاعـت البوصلـة ومفيـش أمـل لطريـق الرجـوع.

هـز رأسـه يمينًـا وشـمالاً مكررًا في همس: مفيش أمل.

●●●

أمسـك الكفـن بإحـدى يديـه ليـواري سـوأته ثـم أسـند الأخـرى علـى الأرض لينهـض فارتطمـت برفـات عمـه فصـاح فرحًـا فلقـد وجـد وسـيلته للنجـاة.

نبـش الرفـات في هيسـتيريا وقطـع أوصالهـا حتـى وصـل لعظـام الفخـذ، انتشـلها في عنـف ثـم أمسـكها ورفعهـا لأعلـى مـع ابتسـامة

ظفر علت وجهه، تحسس الأرض حتى وصل لرأس عمه ليحصل على حجر مستوٍ فيبحث عن أخر في مكان دفنه ليكتمل معه سلم النجاة، يضع الحجر فوق الأخر ويصعد في حذر وعند اكتمال اتزانه يشب بجسده لأعلى مع ضرب سقف القبر بالعظام، تقاوم جدران القبر ضرباته لتتساقط معها ذرات التراب التي تفقده اتزانه ليسقط أرضًا فيمتلأ وجهه بتراب القبر، يضرب بيده أرضًا ليستجمع الحماس ليصعد الحجرين بهمة ثم يضرب السقف بقوة ومع الضربات يسترجع ذكريات يوم مر ليتلاشى معه مشهد القبر ويبدأ الماضي في الظهور رويدًا رويدًا.

- مش قادر الوجع بيقتلني، استدعوا لي الطبيب.

نطقها جعفر ملقيًا على سريره مع نظرات برود من زوجته التي جلست على حافة السرير لتجيبه بلا مبالاة: دكتور إيه في أخر الليل، أنت مخليتش أي حد ناجح في البلد، أي حد بيحاول ينجح بتعمله مصيبة، لحد ما بقت البلد كلها طبقة من الجهلة والبلهاء.

عصر بيديه على بطنه ليجز بأسنانه من الألم متحاملاً ليجيب: كان لازم ده يحصل، لازم أكون أعلى شخص في البلد عشان أقدر أسيطر عليهم، الجهل لوحده مش كفاية عشان تسيطري بيه

على البشر، لازم شيء من الخوف تزرعيه جواهم تحسسيهم بيه إنهم عبيد، وعشان تكمل السيطرة لازم جزء من الظلم يكمل على التوليفة دي، بكده عمر ما حد يقدر يقاوم، والنتيجة قدامك أشباه بشر بعقول خاوية عايشين حياة الحيوانات كل اللي يهمهم لقمة عيش تبقيهم على الحياة، وقدرة جنسية تشبع غرورهم بأنهم رجال، غير كده ما تنتظريش منهم شيئًا.

أجابته بنبرة تحمل شيئًا من السخرية: السيطرة لوحدها مكنتش هدفك، الغيرة والحقد كانوا الدافع كمان، ولا نسيت اللي عملته في الحانوتي، مقبلتش إنه يدخل طب وأنت تدخل كلية أقل منه وكمان فشلت فيها.

ازداد الألم عليه فسكت لحظات ثم أجابها: مفيش شخص يعلى عليَّ في البلد دي، وخصوصًا الحانوتي، دبرتله قضية فصلته من كلية الطب، وبدل من الدكتور جابر أصبح جابر الحانوتي، أنا ما أعطيتش لأي حد فرصة في البلد إنه ينهض ولا يوصل لمنصب كبير واستعملت كل نفوذي واتصالاتي والفلوس بتفتح كل أبواب الشر بسهولة.

تمتمت قائلة: جابر كان المفروض يكشف عليك دلوقتي، لكن النصيب إنه يغسلك ويكفنك.

صرخ بأعلى صوته: أي حد يعالجني، مش قادر أتحمل.

قامت من مجلسها لتجيب: ما تقلقش، عاليا في الطريق إليك.

رفع نظره لأعلى صارخًا: عاليا لأ.

تحركت ببطء وثبات إلى الباب وقالت: لأ... عاليا يا الموت.

مع اقترابها من الباب يطرق الباب ثم يفتح لتظهر منه عاليا ممسكة بزجاجة زرقاء مع ابتسامة خبيثة تظهر أسنانًا متفرقة فرقتها السنون لتدخل مع حركات زاحفة لتنحني بالقرب من جعفر وتقرب الزجاجة من فيه مع ابتسامتها الماكرة قائلة: ده دوا مخصوص عشانك وهيريحك ع الأخر.

ثم تمتمت: وهيريحنا كمان.

أبعد وجهه عنها لتمسك وجهه بشدة بمساعدة زوجته لتفرغ الزجاجة كاملة في فمه ثم تنهض واقفة ناظرة لزوجة جعفر: كلها خمس دقايق والدوا يشتغل وبعدها صحتنا هتبقى عال العال.

ثم ضحكتا ضحكات شريرة سمعت صداها في أرجاء المكان.

مع المشهد الأخير يضغط جعفر بالعظام على سقف القبر غيظًا مع ترديده: أوغاد، كلهم أوغاد.

مع ترديده بتلك الكلمات تنكسر العظمة من منتصفها فيفقد اتزانه مرة أخرى ليسقط أرضًا فتسبقه سن العظمة المكسورة فتنغرس في جانبه لتروي أرض القبر بالدماء، ليصرخ صرخة عالية تأبى أن تتعدى حدود الجدران لينظر إلى مكان دفن عمه صارخًا: الموتى لا يرحلون إلا بعد ثأرهم، ليه يا عمي كده؟ ده محدش كرهك في الدنيا دي أدي.

ثم خارت قواه لتظلم الدنيا أكثر وأكثر ثم يعود صمت القبور من جديد.

●●●

أزاحت عاليا الفتاة جانبًا وسارت لتصل للترياق لتتبادل النظرات بينه وبين الفتاة وتصمت للحظات ثم تبتسم وتلمع عينيها لمعة الشر والدهاء، سارت بخطى بطيئة صوب الفتاة مصدرة أنات شريرة تتوسط حوار من طرف واحد: غلطة؛ زرعت في غير أرضي ونتيجة الحصاد الشرود، بنت جعفر من حرام أربيها بعد قتل أمها عايزة تقضي على طموحي، يا ريتني سمعت كلام جعفر وقتلتها مع أمها، ليكي نصيب تموتي انهاردة يا فاتن، اغلط يا جعفر اقتلي يا عاليا.

ثم انحنت لتلتقط رأس الفتاة مقربة الترياق من فمها.

تنقض الفتاة فجأة لتمسك الترياق وتسقط العجوز أرضًا ثم تنهض واقفة على صدرها قائلة: الأفلام القديمة فسدت عقلك يا عاليا، متصورة إني فقدت وعيي؟

ثم ضغطت بيدها على عنقها صارخة: لازم تموتي يا عاليا.

جحظت عيناها وتساءل لسانها المرتعد: عايزة تموتيني ليه؟

أجابتها الفتاة: عشان أريح الناس من شرك.

حاولت عاليا تشتيتها عن قتلها: لأ أنت مش عايزة تموتي عاليا، أنت عايزة تموتي الخوف اللي جواكي، عايزة تقتلي السلبية والضعف اللي سيطروا عليكي، طول عمرك حاسة إنك عبدة ذليلة وبتدوري على أي قيد وهمي تكسريه عشان تحسي بانتصار خيالي وتكسبي بيه ثقتك في نفسك.

فاتن: وهم، وهم، مفيش في حياتك غير نظرية الوهم؟ الخنوع ده أنت اللي ربيتيه جوايا، وأوهمتيني بيه، لكن القيود لازم تتكسر، وكسرها لازم يكون شاهد على نهايتك، لازم تموتي يا عاليا مهما كانت المسميات، وهتموتي بترياقك.

عاليا: ترياق جولييت لأ، ادينى أكسير الشباب هتلاقيه عندك على الرف.

فاتن: زمن الخيارات انتهى، والخيار الوحيد خلاصك.

عاليا: لما تكبري الحياة هتجبرك على تعلم الشر، الطيبين ملهمش مكان في الزمن ده، الطيبين سلالم الزمن والأشرار صعادها.

فاتن: دي حجة الفاسدين أمثالك، الدنيا أجمل بتنوع البشر.

عاليا: لسه مشوفتيش الدنيا على حقيقتها، أنا كنت بحميكي منها.

فاتن: ورتيني نارك اللي أنت عايزاها، الجنة كانت قريبة وأنا مش شايفاها.

عاليا: ده كان خوفي عليكي وحبي ليكي، هاتي الترياق وسيبيني أنا عمري ما فكرت أأذيكي.

فاتن: اللسان وقت الموت بيكون ليه رأي تاني.

نظرت عاليا إليها نظرات شفقة لتستميل عطفها: نسيتي تضحياتي عشانك، متكونش دي نهاية ست عجوز، ما تلوثيش إيدك البيضا بجريمة تعذبك بقية حياتك، أنا خلاص عرفت غلطتي وتُبت خلاص.

تتوغل الكلمات لقلبها توغل ثعبان ماكر فتضعف قبضتها على عنق عاليا ثم تمسك بيدها لتنهضها، تبتسم عاليا ابتسامة مكر فتسحب الوشاح من رأس الفتاة على عينيها ثم تنقض عليها لتطرحها أرضًا فتفقد الفتاة اتزانها وتسقط لتعلوها العجوز ومعها الترياق لتدفعه في فمها فتسرع الفتاة بالمقاومة فتنحني انحناءة سريعة تبدل بها الأدوار لتعلو الفتاة العجوز وتمسك الترياق وتسكبه في فم العجوز مع مقاومتها وصرخاتها المكتومة بالسائل، ثم ما تلبث أن تخور قواها ثم تذهب لعالم أخر.

تخرج الفتاة من البيت صارخة في المارة: ماتت عاليا.

ثم اقتربت من أحدهم بلسان متلعثم: ادفنوها دلوقتي، متتأخروش للصبح، دي كانت وصيتها.

ثم انطلقت إلى بيت جعفر لتستنجد بزوجته.. سارت على غير هدى.. سارت لتصل لمصيرها المجهول.

●●●

أوشك الليل أن ينتصف متآنسًا ببدر يلوح في السماء، يختفي خجلاً بين الحين والأخر خلف سحابة شتاء تداعب وجهه على استحياء، يتوشح الليل ضباب يزيد ظلامه غموضًا وخفاء، تقاوم

الفتاة البرد بفرك يديها ثم تحتضن صدرها كطفل ارتكب توًا جرمًا يستحق العقاب، لتكتسب شيئًا من الدفء يعينها على المسير للوصول لبيت جعفر، تطرق الباب طرقات متواصلة لا يقطعها سوى فتح الخادمة الباب، تدلف للداخل باحثة في لهفة عن زوجة جعفر فتلوح لها واقفة في منتصف سلم البيت. تصعد إليها وسط تساؤلات عديدة تبحث عن جواب، تباغتها بإخبارها بجريمة عاليا مع جعفر وأنه حي بداخل القبر، تتصنع زوجة جعفر الاستغراب، لكن يهولها خبر أنه حي، تملكها الخوف للحظات خشية انتقامه لكنها في نفس الوقت تخشى من اكتشاف الفتاة السر الذي وارته الثرى بمساعدة العجوز، سرحت بعض الوقت وهزت رأسها في عنف كأنها ترتب أفكارها من جديد، تصنعت اللهفة لإنقاذ زوجها وسحبت الفتاة سعيًا للقبور، وسط عواء الكلاب الذي اختلط بنعيق الغربان ليكونا لحنًا يضفي رعبًا على المكان، سارا في الظلام الدامس بعد أن اختفى القمر خلف الغيوم، نبشا التراب في عنف حتى وصلا لغطاء القبر الحجري سحباه حجرًا حجرًا حتى لاح القبر من الداخل.

صعدت لأعلى التراب ونظرت للفتاة وقالت وهي تدفعها لداخل القبر: حفرتي قبرك بإيدك، ليه تنبشي في أسرار الماضي؟ ليه عايزة تخرجي المارد من القمقم؟

سقطت الفتاة داخل القبر وسط صدمة عن عدم فهم ما يحدث، نظرت إليها دون أن تنبت شفتاها بكلمة لكنها حاولت الصعود والهروب، دفعتها زوجة جعفر بقدميها لتبوء كل محاولاتها بالفشل.

- عايزة تدفني الأب والبنت في مقبرة واحدة أي قلب بتحمليه بين ضلوعك؟

يأتي الصوت مع انسحاب الغيوم ليظهر القمر بضوئه الضعيف متسللاً الضباب ساقطًا ضوءه على وجه جعفر الذي حاول الزحف متغلبًا على جراحه.

تسقط زوجته من الصاعقة أرضًا ثم ما تلبث أن تحاول النهوض ليتراءى لها وجه زوجها الذي تغير تمامًا بعد أن احتل البياض شعره والشحوب بدا على وجهه الذي أصبح أقرب للموتى.

صرخت الفتاة خوفًا حاولت الصعود في هيستريا لكن الخوف أفشل جميع المحاولات لتسقط مع تسلل التراب بين يديها.

حاول جعفر تهدئة الفتاة: اهدي.. ما تخافيش، الموتى ما بيأذوش، اللي بيأذوا أمثال اللي واقفة قدامك، قلوب ميتة في أجساد حية.

ما بين التلعثم والبحث عن وسيلة للتصنع توجه زوجة جعفر الحديث: حبيبي. أ. أ. أ. أنا مش مصدقة نفسي إنك عايش.

ثم رفعت رأسها للسماء على نحو مسرحي: خدني يا رب دلوقتي عشان ما أعيش لحظة فراق حبيبي تاني.

- هياخدك ما تخافيش، تمثيلك فاشل وأداؤك مبالغ فيه.

وجه إليها جعفر الجملة الأخيرة والآلام تعتصر جنبه وتوشك الدنيا أن تغيب أمام عينه لكنه تحامل وأضاف: طلعي المسكينة من انتقامك، دي طاهرة ما تنهيش حياة بريئة تحت أقدامك.

زوجة جعفر: لازم تندفن أنت وهي مع أخطائك، كل ما أشوفها أفتكر خيانتك ليا وإنها كانت نزوة ليك في الماضي، كان لازم أتخلص منك، سنتين وأنا مستنية الفرصة دي عشان أخد بتار أبويا اللي استوليت على أمواله، سنتين وأنا كاتمة ومخبية إني أعرف إن نهايته كانت على إيديك.

فاتن: أنا ذنبي إيه؟؟

جعفر: ذنبك إنك طيبة، ودي لوحدها جريمة في حق نفسك، والطيبين دايما بيتقدموا قربان للزمان، ما تخافيش منها دي أجبن من إنها تعمل حاجة لوحدها.

زوجة جعفر: نسيب الزمن يحكم، ونستنى ليه؟

ثم شرعت في رمي التراب عليهما.

-طهري إيدك من الدم قبل ما تحطيها في التراب.

أفزعها الصوت القادم من بين القبور لشبح يشق الضباب ويقترب لتبدو ملامحه في الوضوح رويدًا رويدًا ليظهر لها جابر الحانوتي ليردف: دفنتيه حي ودارينا عليكي، قولنا وماله، ما شره هو اللي جابه هنا، لكن ترتكبي جريمة في حق بنت كل ذنبها إنها عايزة تنقذ إنسان.

كأنه قرأ الدهشة على وجهها لكنه لم يتركها للتساؤلات ليضيف: أيوه كنت عارف إنه حي، خبرة سنين حانوتي وسنة طب دراسة اللي أنتم حرمتوني منها كشفت لي جريمتكم، داريت عليكم ودفنته لكن ما غابش عن عيني لحظة، بعد الدفن رشيت حوالين القبر ميه وطهرت الأرض من أوراق الشجر وكل ساعة كنت أمشي حافي على الأرض المبلولة أتسمع ليه من غير ما يحس عشان أطمن إنه حي، سيبته عشان ياخد درس عمره ويتعلم ويغير الشر اللي جواه، عشان ما أعطيش أي فرصة للنجاة كنت بصرف أي حد يقرب من قبره، بس أنا غيركم مكنتش هسيبه لما يهلك، في اللحظة الأخيرة كنت عامل حسابي إني أنقذه لما يقرب على الهلاك.

وسط تسمعها لحديثه تسللت الفتاة خلسة لتهرب من الحفرة وساعدها الحانوتي في تشتيت انتباه زوجة جعفر، بعد انتهائه من جملته الأخيرة انقضت زوجة جعفر عليه لتتعثر بحجر بين التراب لتفقد اتزانها فتسقط في حفرة القبر لتستقر رأسها أمام جعفر وأرجلها لأعلى الحفرة مقلوبة ليتسلمها جعفر بكف مملوء بالتراب ليلقمه في وجهها وعينيها ثم يسحب العظمة المغروسة في جانبه مع تحمل ألمها الشديد ليرفعها ما بقي له من قوة ويطعنها في عنقها مع ترديده: أبوك طيب قوي يا بنت عمي، خد تاره مني ودلوقتي بيغسل عاره بعظمه الطاهر.

ثم رفعها مرة أخرى ليطعن الطعنة الثانية ويضيف: لما تشوفيه سلمي لي عليه وقوليله طول عمرك مؤذي حي وميت.

ثم سقط بعدها مفارقًا للحياة، أسرعت الفتاة لتبحث عن الأمان في حضن جابر يقطعها ظهور أنوار تقترب مع أعداد من البشر ليسرعا بالاختفاء، يراقبا المظهر خلف الستار ليظهر أهل البلدة قد جاءوا لتشييع جثمان عاليا، بعد الدفن ينصرف المشيعون ليبقى سكون القبر وجابر والفتاة، داخل القبر يعم الظلام ولا شيء سوى رائحة الموت، تأخذ عاليا جانبًا من القبر وسط سكون تام، يمضي الوقت بطيئًا ويتلاشى تأثير العقار، تقاوم عاليا كفنها وتفك قيد معصمها،

تنهض وتدور ببصرها فلا ترى غير ظلام يكسو ماضيها ومستقبلها، تطلق صرخة عالية لا يسمع صداها سوى مستقبلها المجهول.

يبدأ الصبح في الظهور مع أصوات تغريد الطيور تصاحبها حركة أغصان الأشجار تقطر ماءً كعروس خرجت توًا من حمام الزفاف، تكتسي البلدة بلباس الأمل فقد استراحت ولو لوقت من ظلم غابت شمسه للأبد.

تشرق الشمس لتعلن ميلاد يوم جديد غابت فيه قصص وأشرقت فيه حكايات رقص أصحابها على ألحان الزمن، البعض يرقص جبرًا وآخرون يرقصون تمتعًا، لتسحرهم الدنيا بملذاتها تسحبهم فيها السنون إلى دائرة التيه ينسون فيها أنفسهم وينسون الناس ليستقيظوا على أن رقصاتهم لم تكن بها سعادتهم ولكنها كانت رقصات أنانية آثروا فيها أنفسهم على آلام الناس وأن رقصاتهم كانت على أشلاء أبرياء ضحوا بهم من أجل متعة وهمية وتدور الأيام ويسحب العمر من تحت أقدامهم ليدركوا في النهاية أن رقصاتهم ما هي إلا رقصات حزينة.

●●●

# رصاصة الحياة

فاق من إغماءة قصيرة ليتحسس الألم الذي برأسه لتعود يده ملطخة بالدماء، يجلس بإيماءة قصيرة للأمام ليدور برأسه يستكشف المكان، تقع عينيه على مسدس ملقى بجانبه، يمد يده بصعوبة ليتفحصه بعد أن حصل عليه، يتفحص رصاصاته ليجدها خمسة رصاصات ورصاصة فارغة، بعين متكاسلة يمسح المكان يمينًا وشمالاً ليبحث عن ضحية هنا أو هناك، ترجع أبحاثه بأن لا شيء سواه في المكان، يحاول جاهدًا أن يستريح في جلسته، يجلس القرفصاء ليحمل المسدس على راحتي يديه كجنين خرج توًا للحياة ناظرًا إليه ليبحث عن أجوبة لأسئلة حائرة ليس لها جواب. إنه يتذكر أن هذا السلاح خاص به، وتلك الطلقات قد أعدها بنفسه لقتل ستة أشخاص لكن هناك طلقة فارغة، يا ترى من الضحية التي بدأ بها جريمته، مرة أخرى يبحث عن ضحيته فلا يجد شيئًا، ألقى مسدسه أرضًا ليترك التساؤلات تسبح مع ذكرياته لعلها تعود بإجابة تريحه من هذا العذاب، ترفض الحيرة أن ترحل كما رفضت الأجوبة أن تأتي، نفد صبره، أزاحت عصبيته المسدس جانبًا في عنف صارخًا فيه أن يعلمه من كانت الضحية، حاول النهوض بصعوبة، سار بخطوات بطيئة حتى إن

وصل للنافذة، فتح دلفتها مستندًا على أحد جوانبها، تنفس الهواء ليسري داخل صدره ليعطيه بعض الراحة المؤقتة، رجع برأسه للخلف مغمضًا عينيه ليستعيد جزءًا من نشاط ذاكرته، التفت برأسه من أسفل ذراعه للخلف لتقع على مسدسه ليسترجع معه الذكريات لعل وعسى يجد في الماضي إجابة لسؤاله ولعله يتعثر في جولته على الحقيقة التي يخشى أن تكون صادمة له، يخشاها فبعض الأحيان الجهل بها راحة. يبدأ الماضي القريب له في الظهور يبدأ من يومه الذي انتهى توًا، بدأ يومه الأخير يعرض كشريط سينما على خلفية المسدس الملقى على الأرض، صرخ فجأة عندما رأى أشخاص يجولون في خيال عرضه، هرول ناحية مسدسه ثم أمسكه بيده. تفحصه بعين ملأتها الدهشة الشديدة، ألقاه بعنف تجاه الحائط مردفًا: ليه... ليه... ده بالذات قتلته ليه؟

تنطلق رصاصة في المكان مع ارتطام المسدس في الحائط، يحاول تفاديها فترتطم رأسه بالحائط، يفقد توازنه ليدور بجسده مترنحًا، تبدأ الصورة تتلاشى أمامه شيئًا فشيئًا، يلقي نظرته الأخيرة على المسدس ليسقط غائبًا عن الوعي.

●●●

رغم أناقة مكتب المدير ونظافته، إلا أن هناك ذبابة تحوم في المكان ما تلبث بين الحين والأخر أن تعبث بوجهه، يحاول جاهدًا اصطيادها إلا أن محاولاته جميعًا تأتي بالفشل، يقطع ذلك المشهد العبثي دخول «وجيه» ذلك الشاب الأربعيني نحيل الجسد الذي يوصف دومًا بأنه الذراع اليمنى للمدير، بل أحيانًا يصفه الموظفون بأنه العقل الذي يفكر به، وأنه دومًا ما يستغل تلك العلاقة في الوصول لأغراضه الانتهازية، وأيضًا الثأر من خصومه بقرارات من المدير، الذي نادرًا ما يرفض له طلبًا، أصبح شيئًا مسلم به بأن «وجيه» هو المتحكم بفرع الشركة مستغلاً ضعف شخصية المدير وضعف إمكانياته في اتخاذ القرار، وعلى الرغم من صفته كمدير للشركة إلا أنه دومًا يخشى اتخاذ القرار خشية العقوبة من رؤسائه بعد أن وصل لمنصبه بقوانين سنت حديثًا خدمت آماله في الوصول لذلك المنصب، واشتهر بين الموظفين (بعبده الروتين) لحرصه الدائم بالاحتفاظ بنسخة من الأوراق مزيلة بتوقيعهم.

يتقدم «وجيه» بالتحية مع انحناءة مبالغ فيها ثم يضع ورقة على المكتب لينظر إليها المدير مقتضبًا حاجبيه متسائلاً: مقدملي إيه تاني انهاردة؟

يجلس «وجيه» على حافة الكرسي المستقر أمام المكتب مع فرد ظهره في وضع الاستقامة لأعلى ممسكًا بالورقة قائلاً: ده سعادتك طلب بإسناد مهمة إدارة الشئون المالية ليّ.

يمسك المدير الورقة بيده ثم يلقيها في اتجاهه فتستقر على حافة المكتب ثم يرجع للخلف مسندًا ظهره على الكرسي في استعلاء: جرى إيه يا «وجيه»؟ كل حاجة بقت في إيدك، تقريبًا مبقاش في حاجة في الشركة ما بتشرفش عليها.

ابتسم ابتسامة خبث وأجاب: والنتيجة إيه سيادتك؟ الفرع في عهدك أفضل فترة في تاريخ الشركة.

اعتدل في جلسته وقال: ما هي دي المشكلة، والفرع بقى في إيديك، حتى الكفاءات بسببك شيلتهم من أماكنهم وخليتني أطبق عليهم جزاءات ومن غيرهم الشركة هتقع. حتى علاقة الموظفين ببعض ساءت بسبب توقيعك بينهم، يا أخي نفسي أعرف إيه هدفك من ده كله؟

قام «وجيه» من جلسته ثم دار في الحجرة وأكمل الحديث متفاخرًا: عشان يفضل عهدك أفضل عهد، لازم اللي بعدك ما يقدرش يعمل اللي أنت عملته، كان لازم أفرغ لك الشركة من كفاءاتها عشان اللي يجي بعدك ما يعرفش يدير الشركة ويفضل عهدك زاهي محدش ينساه.

أشار بيده بالنفي قائلاً: لا لا لا... مش ده هدفك.. هدفك إنك تفضل مسيطر على الشركة عشان اللي ييجي بعدي يفضل محتاجلك وتفضل أنت اللي متحكم فيها، وتوصل لغرضك وهو إدارتها لحد ما تيجي الفرصة وتمسكها، لكن أوعدك إنك هتوصل يا «وجيه» لأن المديرين بيجوا بحاجة من اتنين يا إما بالانتخابات ودي بتجيب أسوأ المديرين، يا إما بالتعيين ودي بتجيب أفسد المديرين، والنوعين دول متوفرين فيك.

استمر «وجيه» في الحركة حتى وصل للوحة سجل الوفاء المعلق بها صور المديرين السابقين، أعطاها ظهره والتفت حتى ظهرت رأسه في موضع المدير الحالي وأشار بكفه معترضًا: اسمح لي أعارض سعادتك الرأي ده، وبعدين خلينا في الأهم، سيادتك كلام الموظفين كتر إن سعادتك ضعيف الشخصية وعايزين نشوف حل في الموضوع ده؟

أربكته تلك العبارة فسأله في تلعثم: دبرني يا «وجيه».. أعمل إيه؟

عادت الذبابة تعبث بوجهه فتابعها «وجيه» بابتسامة قائلاً: نجيب حد من الموظفين وحضرتك تديه الجزا التمام، ومفيش مانع إن حضرتك تغسله الغسيل المظبوط، وتسمع الموظفين صوت توبيخك ليه، وبعدها هتشوف النتيجة وهتدعيلي.

لـم يـرق لـه الـكلام وتسـاءل والخـوف علـى وجهـه: وتفتكـر الموظـف هيسـكت؟ أخـاف يـرد لـي الصـاع صاعـين وأبقـى مسـخرة وسـط الموظفـين، بـلاش أفـكارك الزبالـة دي يـا «وجيـه».

أمسـك مضـرب الذبـاب وتابـع الذبابـة وأجـاب: متقلقـش مـن النقطـة دي سـعادتك هاختارلـك حـد ميقـدرش يفتـح بقـه بكلمـة هياخـد الـدش التمـام وهيقـوم مـن غيـر مـا ينطـق بكلمـة، وكمـان أنـا اخترتـه خـلاص، عـارف اختـارت مـين؟

ثم ابتسمت عينيه وأضاف: اخترت «رفيق».

ثـم سـكت برهـة وهـو يراقـب الذبابـة ومـا إن حانـت اللحظـة المناسـبة قتلهـا، ثـم ابتسـم ابتسـامة خبـث وأردف قائـلاً: أسـتأذن سـعادتك أجيـب الذبابـ...

تنحنح مصححًا قوله: أقصد أحضرلك «رفيق».

انسـحب خارجًـا مـع انحنـاء ظهـره ناظـرًا لـلأرض، ثـم انصـرف مطأطئًـا رأسـه وهـو يلقـي نظـرة بجانـب عينيه لسـجل الوفـاء لينعكس طيفـه علـى صـور المديريـن السـابقين ليتبعهـا بابتسـامة خبـث ودهـاء.

●●●

كقربان في دنيا النفاق قدم على مذبح الخيانة، ليزداد ضحايا الزمن فردًا، فالسذج ليس لهم مكان في تلك الحياة، المهمشين أماكنهم على رف النسيان ووحدهم الانتهازيون في المقدمة يحكمون عصرهم باستعلاء، يرفع قدمًا في طريقها لمصيره المجهول والأخرى تتثبث بالأرض تدعوه للتراجع، يقوده سيف القدر وقد أغمضت عينيه براءة الأخلاق، تقدم وأنى له أن يتراجع بعد أن نفذ حكم القدر، يفتح «رفيق» باب المدير يلقي إليه التحية فلا يلقي له بالاً متعلاً بانشغاله بأوراق يتفحصها، يتركه للانتظار بعض الوقت، يمر الوقت بطيئًا ليوسوس له الانتظار بأن الأمر جلل، وأن ما مضى أمر وما هو آت غير ما مر، يتفقد ساعته ليستعجل الوقت بعد أن تسلل التوتر إليه، يتردد مرارًا في فتح الأمر مع مديره لكن طبيعته الساذجة تدعوه كالعادة للتراجع، يتملك الشجاعة في إحداها فيسأله عن سبب استدعائه.

يخلع المدير نظارته ويلقيها جانبًا وينظر إليه بشيء من الحدة: فرصك انتهت معايا، تقصير في الشغل وعديته، إنجازات مش موجودة وبتغاضى عنها، استغناء عنك وأجلت أكتر من مرة على أمل إنك تتحسن في شغلك.

ثم هز رأسه ضامًا شفتيه في تأسف وأضاف: لكن يبدو إن مفيش أمل!!

تلفت «رفيق» يمينًا وشمالاً على أمل أن يعلم أنه ليس مقصودًا بهذا الحديث وخصوصًا أنه بعيد تمامًا عما وصف به.

أشار بيده على صدره: تقصدني حضرتك؟

- أيوه يا بيه، هكون بكلم معتوه تاني غيرك، سيبك من شوية المكر اللي أنت فيه. ولا فاكرني هنا في مكتبي مش داري باللي بيحصل في الشركة.

ثم قام من مجلسه ورفع صوته بعض الشيء: خلاص جيبت أخري معاك.

شعر المدير بأن صوته لم يصل للحد المطلوب فتنحنح ثم أكمل قائلاً: أنا مبحبش الفوضى، والشركة ما بيستمرش فيها غير الكفاءات.

تملكت الدهشة «رفيق» فلم يستطع الإجابة سوى بنظرات الدهشة والاستغراب، ليستغلها المدير بعد أن أحس بشيء من النشوة والإحساس بقوة السيطرة وشيء من الثقة في النفس ليكمل قائلاً: استقالتك موجودة في مكتبي وأنا بعتبر نفسي قبلتها، تلم أغراضك وتفارق الشركة، اتفضل برة الشركة من غير مطرود.

يتابع «وجيه» الأحداث بالخارج منتظرًا اللحظة الحاسمة، ومع العبارة الأخيرة يدخل بورقة في يده كالعادة متصنعًا الدهشة واللهفة: مصيبة يا فندم.. مصيبة.

هزت تلك العبارة المدير كعادته، فدومًا ما يخشى المواجهات: جرى إيه يا «وجيه»؟

- ربع مليون يا فندم عجز في عهدة «رفيق».

نهض «رفيق» فزعًا: أنا.. إزاي ده حصل؟ كل شيء متورد ومثبت بالأوراق.

متصنعًا الاهتمام بالأمر والحياد أجاب «وجيه»: والله يا رفيق يا حبيبي لسه مستلم إدارة الماليات وبعمل جرد اكتشفت المصيبة دي.

- بس ده محصلش؟

هكذا أجاب «رفيق» ولا زالت الدهشة لديه تبحث عن جواب استغلها المدير ليكتسب شيئًا من القوة ويتحدث بشيء من حدة الصوت: لأ.. وكمان حرامي.. أنا شركتي ما بتتسترشي على اللصوص، «وجيه» اتصلِّي بالشئون القانونية.

- يا فندم ملوش لازمة، أكيد فيه مخرج.

هكذا بدأت توسلات «رفيق» ليبتسم على إثرها «وجيه» بابتسامة مكتومة ليقترب من المدير مدعيًا وقوفه صف «رفيق»: يا فندم ممكن نحل الموضوع بدون شوشرة. ممكن نسكت ع الموضوع بشرط إن «رفيق» يسدد العجز الموجود، ويا دار ما دخلك شر.

ثم سار في اتجاة «رفيق» وهمس في أذنه قائلاً: وكفاية عليك لحد كدة يا صاحبي، سدد المبلغ ووريا جمال خطوتك واستقالتك مقبولة، وإلا فالفضيحة مستنياك.

نظر إليه «رفيق» بعد أن فهم الحيلة التي حيكت عليه فما كان منه سوى التزام الصمت وسار في اتجاه الباب للانصراف، فتح الباب ولكن التردد دعاه للرجوع، نظر لـ «وجيه» وقال: مشكلة المغرورين أمثالك إنهم فاكرين إن الطيبين ضعاف، ميعرفوش إن صمتهم وراه قوة جبارة بيحاولوا يروضوها، ولو جه يوم وتركوا ليها الليجام هتاكل الأخضر واليابس، أوعدك يا صاحبي إني هامنحك شرف أي حد يتمناه.

ثم صمت للحظات وأضاف: هاوهبك شرف الشباب الأبدي.

ثم أولاه ظهره وانصرف، ويبدو أن الأخر لم يفهم مقصده لينظر إلى المدير مبتسمًا ليبادله المدير ابتسامته بقوله: أنت طلعت حيوان يا «وجيه».

ضحك ضحكة ترددت في المكان ليقترب من أذن المدير هامسًا: دايمًا حضرتك القدوة يا فندم.

عبثت تلك العبارة وجه المدير لتتحول ابتسامة «وجيه» إلى حذر ثم يسود بعدها الصمت في أرجاء المكان.

●●●

الدنيا رواية ونحن من نحدد أدوارنا فيها، البعض يتلذذ بدور الكومبارس والبعض لا يرضى بغير البطولة بديلاً، البعض يستسهل الأدوار الثانوية، والبعض يعشق أن يمسك ستار النهاية، لكل إنسان طائر معلق بعنقه ووحده يختار طريقه، لا تجبرنا الحياة على سلوك دروبها، لكنها تهب لنا الطرق وتترك لنا الاختيار، عندما نضل الاختيار نهرب من فشلنا بإلقاء اللوم والتهم على الحياة، وأنها الطاغية ونحن الضحايا بحجة أننا لا نملك من مصائرنا شيئًا، نلعب دور الضحية ونذرف دموع التماسيح لنستشحذ تعاطف الأخرين، وما إن تتلاشى مشاعرهم نتوه في دائرة النسيان، داعين إيانا في سلال الإهمال بعد أن غفلنا حقيقة أن الأقوى بنفسه دائمًا يعلو، ودائمًا ما يفرض قوانينه على من دونه في مقياس القوة، وحدها المغامرة والاستغناء بالنفس ما تعلو دون عوائق.

ينطلق «رفيق» بعد أن صدمه الواقع، تموج التساؤلات بفكره، تارة تسحبه لبر اليقين وتارة تقذفه في أعماق الحيرة، يبحث عن تحليل لما ألم به فتأبى التحليلات عن تفسير ما حدث، بحث عن مخرج بعد أن شعر بأن الدنيا أمامه كثقب صغير.

جال بخاطره أن يذهب لوالده في متجره وأن يستنجد به ليدعمه بما نقص من عهدته من أموال، سار كتائه في فلاة وأمله في والده كسراب، يدرك تمامًا أنه لن ينصره، لكنه الأمل الزائف سحبه دون مقاومة، وصل والتردد المعهود عليه بطل الحوار، وما إن حانت اللحظة المناسبة كالعادة سرد له ما حدث فما كان من والده إلا أن باغته باللوم قائلاً: وليه مدافعتش عن حقك واتمسكت بيه؟

- حاولت لكن معرفتش.

= معرفتش إزاي؟

- أدافع إزاي وأنا الضعيف وهما في موقف القوة بسلطتهم.

= أنت فاكر إن الأقوى هو اللي بيكسب في المعارك... لأ... اللي بيكسب صاحب النفس الأطول في تحمل الخساير، وأنت نفسك مش موجود من أصله وسلمت من أول مواجهة.

- أنا ماديتش خوانة، اتصرفت بحسن نية.

= تقصد اتصرفت بسذاجة، حسن النية ملوش معنى تاني في الزمن ده.

- تقصد إيه؟

= أقصد إني خلفت مسخ شايف الدنيا بأحلام الروايات وسايبها تشيله وتحطه زي ما هي عايزة.

- يعني أنا غلطان إني بتصرف بمثالية؟

= يا ابني فوق من الوهم اللي أنت فيه، شوف الدنيا حواليك ماشية إزاي، أنت عايش في غابة وأنت مش داري.

- أنا مش عايز الدنيا في شيء.

= أنت بكده لا طايل دنيا ولا أخرة، جاي ليها وهتمشي كأنك مكنتش فيها.

- إن كان فيه لوم، فاللوم يرجع لأصل تربيتك لي، كنت بتربيني بمثالية، أتاريك بتربي في العذاب اللي منتظرني، ربيت للناس شخصية سهلة، وربيتني ليهم ضحية لكل شرورهم.

= كنت فاكر إني بحميك لما أربيك كويس، ونسيت إن الزمن اتغير، وفوقت بعد فوات الآوان.

- المهم عايز حل لمشكلتي؟ هتساعدني يا حاج بالمبلغ ده؟

= مبلغ إيه يا روح والدك؟ وهساعدك بمناسبة إيه؟

- أنا ابنك ومش هتسيبني أتحبس.

= المال مش مالي يا ابني؟

- إزاي؟

= كل شيء كتبته باسم أخوك.

- وأنا نسيتني؟ أهملت وجودي؟ وفين حقي في مالك؟

= أنت عايزني أسيب ثروتي اللي تعبت فيها سنين عمري يورثها شخص ضعيف زيك يضيعها عند أول عاصفة تقابله.

- يا حاج كده أنت بتقتلني؟

= أنت كده كده ميت، بس أنت اللي مش حاسس.

- يعني إيه؟

= يعني تتفضل تمشي من قدامي بدل ما أجيب أقل صبي عندي يرميك.

- يا حاج مـــ.....

ثم وكزه بعصاه فوقع أرضًا وصرخ فيه قائلاً: أمشي من قدامي كل ما أشوفك بشوف فشلي متجسد فيك، أمشي لداهية تمحيك من الوجود.

سحب خلفه أذيال الخيبة تزرو غبار اليأس في أيام أبت أن تحنوا عليه كما أبت أن تحتويه من قبل.

●●●

القلب جنة عذراء تزينه متع الوجود، عندما يغازله الحب بثمار السعادة يهويه أرضًا لعذاب يزامنه الخلود، تتبدل العذرية بمخاض يعتريه ألم يأباه الصمود، تهجره الراحة وتختفي السعادة الموعودة، وتطير الأحلام ترافقها الأوهام في سماء تواريها سحب اليأس، لتخفي قمرًا اشتاقت أن تشكي له القلوب، من أوجاع وآلام تلازم حب سكن كمرض مزمن ليس لإحساسه غير الأنين، احتارت فيه أهو نعيم أم عذاب؟! تتوه في شباك لا تدري أتقاومها أم تستسلم للذاته الموهومة، متحملة في سبيله كل التضحيات، تستأذن فيه العقل في بعض دروبها وبعضها تختلس سلوك دروب تدرك تمامًا أنه يأباها، تفقد بوصلتها لتستسلم، للحب يأسرها يسحبها بعيون فقدت بصيرتها ويسحر آذانها بأحلام لا تفارقها

السعادة، سرعان ما تتبدل بكابوس لا يفارق الجفون، تناشده اليقظة وأنى أن يستجيب وقد سلب الاختيار.

الصمت عنوان المكان لا يتخلله سوى نظرات بين «رفيق» وزوجته، يشوبه بعض القلق على وجه الأول لتقطع هذا الصمت حركة الثانية لتفتح دولابها ليراقبها «رفيق» في ترقب بعد أن وجدها تضع أغراضها في حقيبة السفر، قام من مجلسه ليسألها مستفسرًا عن هذا الفعل المفاجئ، تنظر إليه للحظات في صمت ثم ما تلبث أن تكمل ما بدأته، يمسك يدها في عنف ناهرًا إياها داعيها لتبادل السؤال بالإجابة.

تلقي أحد أغراضها في الحقيبة لتنظر إليه في تحد قائلة: عارف باعمل إيه؟ بحاول أهرب من حياتي اللي مليت منها.

صدمته عبارتها ليحاول الإفاقة ليسألها في تلعثم: وحبنا اللي دايمًا كنتي بتتكلمي عليه؟

نظرت لأعلى في صبر لتسبق نظراتها حركة رأسها ثم تلتفت إليه بعد تنهيدة استرخاء: الحب لوحده مش كفاية عشان اتنين يفضلوا عايشين مع بعض، دي سلسلة ولازم تكمل إن انفرط أحد عقودها بتضيع، وأنت كل حبالي معاك مقطوعة.

أغمض عينيه في بطء ثم سألها بنفس التلعثم: أنتي بتقولي إيه يا حبيبتي؟

أجابته في تحد: بقول اللي لازم تعرفه من زمان، كان نفسي أحس معاك بالصدر القوي اللي يقدر يحميني، وأنام في أحضانه وأنا مطمنة إنه يقدر يواجه لي كل الحياة.

ثم نظرت إليه في تحقير وأضافت: وإزاي تعمل ده وأنت مش قادر تحمي نفسك.

هز رأسه في عنف ليحاول أن يستوعب ما حدث ليبادلها بقوله: بتلوميني على طيب أخلاقي ولا هدوء شخصيتي؟ أنتي بتشتاقي لشخص عنيف يحسسك برجولته ويسلبك أنوثتك.

هزت رأسها لتغلق حقيبتها في عنف وتتبع قوله: لو في الجنة مش هاتمنى حد غيرك أعيش فيها معاه، لكن احنا في الدنيا، والدنيا مش عايزة ضعاف القلوب، تحملت كتير إنك تتغير لكن بلا جدوى، كنت عايزة أحس برجل أقوى مني، لكن دايمًا كنت بشوف منك الذل والخنوع.

سحبت حقيبتها واتجهت صوب الباب ثم وضعتها أرضًا والتفتت إليه قائلة: ورقتي توصلني كفاية مع بعض لحد كده.

ثم سارت لتفتح الباب لتلتفت له مرة أخرى لتردف: أه.. نسيت أقولك.. العيب في الخلفة مش منك.

ثم سكتت برهة وأضافت: أنا اللي كنت باخد وسائل منع من وراك، لإني مكنتش حابة يكون لي أولاد من أب مش هيعرف يحميهم.

ثم أغلقت الباب خلفها في عنف لتتركه في دوامة أخرى تسحب عقله في دائرة خلف الأخرى من الحيرة يسارعها الشك والندم ليتوه بين الحقيقة والوهم ليبحث عن مخرج بعد أن أغلقت في وجهه كل أبواب الخلاص.

●●●

تلتف القيود حوله واحدة تلو الأخرى، أوجعه قيد السند بعد أن ألتوى بقدميه فطرحه أرضًا، من قبله كبل الأمل يديه متجاهلاً ما بذله بهما من إخلاص، لم يتركه قيد الحب ليفوق من كبوته ليقطع كل أوصال الوفاء تاركًا إياها في طريق الخيانة. راقبت عيناه قيوده بعيون متجمدة حائرة وسط تساؤلات تأبى أن تلبي النداء، أوجعته المصائب وأوجعه مجيئها جملة بعد أن أبت أن تأتي فرادى، حاولت دموعه أن تنهمر لتزيح بعض الهموم عن كاهله لكن أبت مقلتيه إلا أن تتحالف مع مخيبي آماله لتكتم

أحزانه حبيسة داخل صدره تنتظر الفرصة للانفجار، بحث عن تنهيدة تطيب أوجاعه لكن فشلت كل المحاولات عن حملها معلنة بأن ثقله فاق الاحتمال، نظر بعيدًا فلاح له نفق مظلم تلمع في آخره بادرة أمل لعلها تكون الأخيرة، لاح له صديقه كملاذ أخير بعد أن تخلى عنه سند الأب وسند الحب وسند العمل، لملم ما بقي له من أمل وجمع ترحاله لأمل يخشى أن يكون ألمًا يضاف لجملة أوجاعه، كانت عادة أن يجتمع مع صديقه كل ليلة على كافيه، ذهب إليه كعادته ولكنه اليوم يخالف العادة ليذهب مبكرًا وقد تكون تلك المرة الأولى التي سينتظره فيها لساعات، اقترب من المكان المفضل لهما لكن هاله ما رأى، مسح عينيه تكرارًا ليصحح الصورة لكن أبت الحقيقة أن تغير شهادتها لتؤكد له صحة الصدمة التي تلقاها، يجلس صديقه مع «وجيه» ويبدو من المشهد أن علاقتهما ليست وليدة اللحظة، اقترب خلسة ليترك للحوار أن يتسلل لمسامعه.

تناول «وجيه» كوب العصير لفمه وتناول جرعة لينظر لـ «طارق» قائلاً: المكان بقى خالي ليك، وفرصتك تاخد مكان «رفيق» في الشغل.

راقب «طارق» نزول الكوب ليسأل «وجيه»: وعرفت تلبس «رفيق» المصيبة دي إزاي؟ احنا بقالنا شهور بنفكر نلاقي حل عشان أحل مكانه وفشلنا.

وضع «وجيه» كوبه مع وضع إحدى رجليه على الأخرى ليجيب مع رفع رأسه لأعلى وعينيه ناظرة لكوبه: أبدًا، الموضوع كان سهل، استغليت سذاجته ودخلت ليه وهو مع المدير بورقة فاضية.

ثم ضحك بسخرية مضيفًا: الغبي صدقها.

ثم اعتدل في جلسته ونظر لـ «طارق» في جدية وقال: المهم يا صاحبي تيجي الشركة بكرة وأنا مجهزلك كل حاجة عشان تستلم مكانك.

ثم أشار بيده في تحذير: الأهم ما تلعبش بديلك، وكل الأمور اللي تتم في الشركة عن طريقك يكون لي دراية بيها.

ثم أضاف: اتفقنا؟

أجابه طارق مادًا يده إليه ليصافحه: اتفقنا.

قام «وجيه» من جلسته مودعًا إياه، تاركًا الأخير هائمًا في أحلامه ليسبح مع السعادة فيما ينتظره غدًا، وضع كلتا يديه خلف رأسه ليرجع للخلف مع تنهيدة استراحة مغمضًا عينيه

مستنشقًا الهواء العليل، يفتح عينيه والأحلام تتراقص داخل جفونهما ليفاجأ بصديقه «رفيق».

فزعته المفاجأة لينهض مسرعًا مرحبًا به وسط تلعثم من هول المفاجأة، تبادلا النظرات الصامتة بعض الوقت ليقرأ «طارق» اللوم على عيني «رفيق» ليباغته بالهجوم قائلاً: ما تظنش بي السوء يا صاحبي؟ أنا كنت بحاول أحل ليك مشكلتك بعد ما عرفت باللي حصل.

تمالك «رفيق» ما بقي له من تحمل ليقطع المراوغة من بدايتها: أنا سمعت كل شيء. وده اللي عمري ما كنت أتوقعه، ليه يا صاحبي؟.... ليه؟

صمت طارق لحظات ليجيب: دي فرصة، والدنيا فرصة يا صاحبي، وإن جالك الطوفان... وأنت عارف.

سأله واللوم يسري مع تساؤلاته: عارف إيه؟.. المنطق بيقول اللي أنت عملته ده ملوش إلا معنى واحد، معنى الخسة والندالة.

ابتسم مستهزءًا: منطق إيه؟! يا صديقي المنطق دلوقتي غير واقعي، والواقع غير منطقي، الزمن اتغير، واللي تقدر تكسبه اكسبه، والعواطف اللي أنت عايش لي بيها وأنا مستحملك بيها مش موجودة وأنت اللي مش عايز تفوق.

ثم مسك كتفه وهزها قائلاً: فوق من الدنيا الوهمية اللي أنت عايشها، وانزل لدنيا الواقع.

لم يرد على عبارته فأولاه ظهره ومضى، ثم التفت إليه قائلاً: وأنت بكده عايش، يا خسارة، كلكم موتى في دنيا الحياة.

ثم انصرف ليتلاشى عن نظر صاحبه، انصرف بعد أن أغلقت كل أبواب الأمل.

تحركت أحداث اليوم أمام عينيه واحدة تلو الأخرى لتتردد في مسامعه حوارات يومه تتصارع مع بعضها كشريط فيديو.

- أيوه يا بيه، هكون بكلم معتوه تاني غيرك، سيبك شوية من المكر اللي أنت فيه. ولا فاكرني هنا في مكتبي مش داري باللي بيحصل في الشركة.
- وكفاية عليك لحد كده يا صاحبي، سدد المبلغ وورينا جمال خطوتك واستقالتك مقبولة، وإلا فالفضيحة مستنياك.
- خلفت مسخ شايف الدنيا بأحلام الروايات وساييها تشيله وتحطه زي ما هي عايزة.
- وإزاي تعمل ده وأنت مش قادر تحمي نفسك.



obeikan.com

- فوق من الدنيا الوهمية اللي أنت عايشها، وانزل لدنيا الواقع.

مع وصول المشهد الأخير لمخيلته لاحت له فكرة الانتقام، الانتقام وحده ما ينهي معاناته لينصب لنفسه محكمة هو قاضيها وجلادها كما كان من قبل هو الضحية.

●●●

نمت روح الانتقام لديه بعد انهيار معبده وسقوط آلهة كان يظن بها النجاة، أدرك في النهاية أن لحياته رب واحد وما مضى من أيام كان يستجير بآلهة وهمية ليس لها وجود، كان يظن أن أباه رب الحماية وزوجته معبودة الحب وصديقه إله الخلاص والعمل معبدًا للطموح، في لحظة انهارت معابده وانهارت معه شخصيته الضعيفة التي لم يطورها مع الأيام، ترك نموها عند مرحلة صباه وتناسى أن ما يفيد في الصغر يضر في الكبر وأن لكل مرحلة تنوعها وأن الحيوانات كانت أذكى منه تتكيف طبقًا للفصول، لكنه وحده لم يتغير وترك حياته لغيره يديرها كيفما شاء، لتوقظه المصائب تلو الأخرى لتعلن له أنه هالك لا محالة وأن نجاته ليس لها إلا فرصة واحدة وهي أن يتغير طبقًا لما يحيط به من ظروف.

وصل «رفيق» لبيته بحث في هيستريا عن سلاحه، بعثر كل ما يواجهه من أثاث بعد أن نسي موضعه، بعد وقت طويل وصل لغايته نظر إليه بعيون يملؤها الشر تذكر كل مآسي يومه وعزم على قتل الجميع، أخرج خزانة مسدسه وأمسك رصاصاته ليسمي كل واحدة باسم صاحبها وهو يدسها واحدة تلو الأخرى، أدخل الأولى وذكر اسم المدير تناول الثانية وأطلق عليها اسم «وجيه» وأدخل الثالثة والرابعة والخامسة وأطلق عليهم أسماء أبيه وزوجته وصديقه، بقيت رصاصة واحدة نظر إليها في تردد، ما سرعان ما أطلق عليها اسمه فبعد هؤلاء ليس له وجود في الحياة. أدخل الخزانة ببطن كفه داخل مسدسه في عنف ثم قبض بكلتا يديه على مقبضه لينظر لبعيد ليتخيل ما قد يفعله في ذلك اليوم.

أتاه صوت من داخل المكان مناديًا إياه: كل ده ملوش داعي برصاصة واحدة تنهي كل المآسي.

لم يخرج من حيرته ليأتي صوت آخر: لأ لأ لأ... اللي بيعمله ده مش صح.

تلفت يمينًا ويسارًا بعد أن تملكه الخوف وخصوصًا أن المكان خالي وليس به أحد وقد أغلق كل الأبواب في عناية.

- متدورش بعيد... احنا أقرب مما تتخيل، احنا جواك، احنا همسك، احنا فكرك، احنا ضميرك الحي ونفسك الأمارة، اتقابلنا كتير لكن دي المرة الأولى تشوفنا.

هكذا أجاب أحدهم على حيرته، لكنها أوجدت مع الحيرة خوفًا فحاولا تهدئته ليقترب أحدهما منه هامسًا: أنا ضميرك الحي سيبك من التاني وخليك ورا قلبك الأبيض متلوسشي إيدك الطاهرة بدم نفس محرمة، حافظ على جوهرتك الغالية متتأثرش بكل المحاولات اللي عايزة تحولك لمسخ زي باقي المجتمع.

اقترب الأخر من أذنه اليسرى وهمس قائلاً: بص لأيامك اللي مرت وشوف كم المعاناة اللي عانتها مع الجميع، محدش قدر جوهرتك ومشوفتش غير الظلم والمعاناة، الكل استسهل أذاك ووحدك اللي عانيت، لازم تتخلى عن آدميتك وتظهر ليهم الجانب الشيطاني اللي جواك.

تحرك الضمير في مواجهته قائلاً: الإنسان في مسافة ما بين الشيطان والملاك، وأنت اللي بتختار المسافة اللي بتقربك لأي واحد فيهم، وفي النهاية بيفضل إنسان لا بيكون شيطان ولا عمره هيكون ملاك، لكن وحدك تقدر تقرب صفاتك لأي حد فيهم، بلاش تسمع لنفسك الأمارة وتقرب مسافتك من الشيطان.

دارت نفسه الأمارة في الغرفة وبعد صمت وقف بجانب ضميره وقال: اصحى. معاناتك لازم لها حد، كفاية لحد كده إهانة واحتقار ليك، جه الوقت إنك تسود وتحط كل شيء في محله الصحيح، لو عايز الحل السهل خدوا مني.

ثم صمت ردهة من الوقت وقال: لو قتلت الخمسة وعشت هتروح في داهية، ولو قتلت نفسك بعدهم يبقى دفعت تمن أنت مش سبب فيه، بدل ما الست رصاصات يكون فيهم الموت رصاصة واحدة تكفي ويكون فيها رصاصة الحياة.

لمعت عينا «رفيق» وقال: رصاصة الحياة؟

ابتسم الأخر وقال: نعم رصاصة الحياة، رصاصة تقتل بيها ضميرك، وبعدها هتكون شخص تاني، شخص زي كل اللي حواليك، وساعتها تقدر تتعامل معاهم، وتنهي رحلتك مع المعاناة.

بلا تردد رفع مسدسه تجاه ضميره بعد أن حاول الأخير الإشارة بيده ممانعًا لتقطع محاولاته انطلاق رصاصة يرافقها ابتسامة النفس الأمارة لتخترق الضمير فترديه قتيلاً لتصطدم الرصاصة بعدها بالحائط فترتد فتمس جبهة «رفيق» فيسقط على إثرها مذعورًا لترتطم رأسه أرضًا فيغيب عن الوعي.

●●●

تخونه قواه في محاولاته للنهوض، يتمايل يمينًا وشمالاً لعل تنجح إحداها، تفشل جميع محاولاته ليستكشف المكان بأعين تحاول استعادة نشاطها، تقع عينيه على مسدسه وفارغين لرصاصتين تتناثران في المكان، مد يده ليتحسس الألم خلف رأسه ليسحبها ويمسح الدماء من على جبهته، دار بجسده ليزحف على الأرض، يثني ركبته ويطلق الأخرى لعلها تساعده على النهوض بعد أن فرد كلتا ذراعيه، ينجح بعض الشيء لكنه يقع مرة أخرى، يحاول من جديد لكنها الأخرى تكاد تفشل لولا أن امتدت يده لمكتبه لينقذه من السقوط، يستند على كرسيه ليلقي بجسده عليه، يجد حاسوبه في وضع التشغيل وتستقر على سطحه صفحة بريده الإلكتروني، يشد انتباهه وصول رسالة من صديقه «طارق» بأيدٍ ضعيفة يتفحصها، يظهر أمامه فيديو محمل في طيات رسالته بوعي شبه كامل قام بتشغيله، فتح عينيه استغرابًا عندما ظهر له في الفيديو والده يحيط به زوجته وصديقه وبدأ والده بالحديث:

- غلطة الماضي بتمشي قدامي في الحاضر ونبتتها كل يوم بتكبر وتشويهها بيكبر يوم عن يوم، كان لازم أصحح الخطأ ده وخصوصًا إنك كإبن بتدفع وحدك الثمن، والعمر بيجري بيك للمجهول، وبيسحبك لغياهب بعيدة وأنت ماشي فيها زي المسحور، كان لازم أستعين بأخلص الناس ليك زوجتك وصديقك وحبهم

ليك دفعهم يكملوا معايا تمثيلية ظاهرها إننا رافضين حياتنا معاك عشان تفوق وتتغير، الفكرة بدأت لما الفخ بدأ يتنصب ليك في الشغل واتفقت مع صديقك (ينظر والده لـ «طارق») يمثل دور صاحب المصلحة مع «وجيه» عشان يكون قريب من التخطيط اللي بيتنصب ليك وينقذك في الوقت المناسب، صحيح بأمرك تتغير للأسوأ لكن ده عشان مصلحتك، طالما عايش في قطيع من الذئاب ما ينفعش تعيش وسطهم حمل. الفيديو ده ببعته ليك بمساعدة زوجتك وصديقك عشان نكفر بيه عن إساءتنا الغير مقصودة ليك، ويا ريت تكون وعيت الدرس، إن كنت بتتسند علينا في الحياة، فالأقدار غير مضمونة ممكن في يوم متلاقيش حد فينا فيها، لازم تحصن نفسك وسلاحك من عصرك وخططك تناسب دربك، خلاص سكت الكلام لكن مقالب الدنيا عمرها... عمرها ما هتخلص.

مع انتهاء الجملة الأخيرة من الفيديو أغلق جهاز الكمبيوتر، ارتسمت على وجهه ابتسامة سخرية سرعان ما تحولت لدمعة روت خديه لتختلط بابتسامة مريرة موحية بأنه وصل لحالة الجنون.

مد يده لدرج مكتبه في بطء ليسحب مذكرة فارغة ويفتح صفحتها البيضاء ليبدأ فيها بالكتابة:

لم أفكر يومًا بكتابة مذكراتي، لم أتصور يومًا بأن لحياتي قيمة تروى، لكن بعد رحيل شخصية أحببتها برصاصة أطلقوا عليها رصاصة الحياة، علمت مدى اشتياقي إليها، لكن رغمًا عني كان لا بد من توديعها ونسيانها في آبار ترتوي منها قلوب ميتة، تبحث عن أشلاء تعيش على أطلالها، لم أكن يومًا ضعيفًا يتسول تعاطف الآخرين كما يتصورون، بل كنت أراهم هم الضعفاء، ضعفاء أمام أهوائهم ونزواتهم، ضعفاء من أن يحافظوا على آدميتهم ليعيشوا أخلاق البرية في رفاهية البشر، يتلونون كالحرباء ليتخفوا خلف نزواتهم في ثياب الورع، نظراتهم كانت توحي بأنني أدنى منهم شأنًا وأقل عقلاً، نسوا أن للهدوء قلب يحتوي العالم وأن العقول الخاوية أصواتها عالية، ووحدها العقول الراجحة تفكر في صمت، الجميع يطلب مني التغيير وبعد محاولات فاشلة نجحت إحداها فأطلقت من مسدسي رصاصة الحياة لتعلن ميلادي في عالم دومًا ما كنت أأباه، تلتها رصاصة الغضب لتفقدني وعيي رأيت خلاله عالمي المحتمل أن أحياه، بعدها قررت ألا أتغير وسأظل كما أنا حمل في دنيا الذئاب كما يطلقون، لكنني سأحتفظ برصاصاتي الأربع لعلها في يوم تنجيني من ضعف نفسي أمام إلحاحات من قوى الشر تلبي أحلام البشر. سأداوي ضميري ليعود كما كان، وسأداوي آلامي على أمل أن أجد طريقي لدنيا أردتها لكنني

فشلت في الوصول إليها، لكنه الأمل وحده سيدفعني للبحث من جديد لعلي أجدها أو تجدني هي، وإن ضل الطريق الوصول لأي منا للأخر فسيكفيني شرف المحاولة، لكن ما أخشاه أن أضل طريقي معكم، أرجوكم احتفظوا بمبادئكم ودعوا مبادئي كما أشاء فوحدها لا تتغير طبقًا للأهواء، ولا تنسوا أن الحياة في أمس الحاجة إلى لوني وشدتكم فدعوا الاتزان يسير كما هو مشاء، فرشاة حياتي بيدي لا بأيديكم ألونها كما أشاء، كفوا سهامكم عن صدورنا، أطلقوها إلى صوركم الزائفة لعل وعسى تعود السعادة من جديد، زودوا أسلحتكم برصاصاتها فمراحل الحياة تتطلب التخلص من بعض طباعنا، احتفظوا بها فقد تحتاجون لرصاصة تحيي ولا تقتل، تقتل طباع بالية لتحيي آمال واعدة، رصاصة تنتظرها سلبياتكم لتكون هدفًا لها، رصاصة ليست كنظيراتها، إنها ... رصاصة الحياة.

●●●

# أوهام منسية

وحده سكون الليل يتسم الصمت في هدوء... تتساقط الأضواء الباهتة على وجوه المعبد لتضفي جوًا مرعبًا على المكان.... يتسلل (حاتم) خلسة مع زوجته بعد ترقب شديد.. يتخفى مسندًا ظهره على أحد الأعمدة ناظرًا بجانب عينيه مستكشفًا المكان، ليسحب يدها مسرعًا إلى ساتر آخر ليتقدم من جديد... يظهر شبح خيال يتقدم في الظلام، يتراجع فجأة بعد أن سحبها في عنف ليتوارى من جديد مستترًا بالظلام... بعد برهة من الوقت يتسلل الأمن إليهما ليواصلا تقدمهما لهدفهما المنشود، يصعدا قمة الجبل لينعكس خيالهما كأشباح تتراقص على أوهام ليل مجهول، يستلقيان أرضًا ليتنفسا في عنف باحثين عن شيء من الهدوء، يستلقي (حاتم) أرضًا تاركًا نظره يسبح في السماء ليميل برأسه تجاه زوجته متسائلاً: لا أدري أي عقل أًسر لأفكارك المجنونة؟ أي كنز نبحث عنه في هذا الظلام؟ الليل يحاصرنا بأشباح لا نراها، وحراس يترقبون أي زائر غريب.

تصاعد صدرها في عنف بعد أن سحبت أنفاسها لتتحدث مع تنهيدات واضحة: دعك من الحارس فحراس الليل دومًا يبحثون عن دفء النوم لا عن المتسللين، الحارس يخشاك أن تعكر صفو سكونه أكثر من خشيتك سلاحه.

- ولعنة الفراعنة التي تنتظرنا؟

هكذا استقبل إجابتها في فزع بعد أن أشار بيده تجاه أحد تماثيل المعبد.

ضحكت ضحكات مكتومة خشية أن يسمعها الحراس: دعابة جميلة من باحث في الآثار مثلك، لعنة الفراعنة الوحيدة هي نحن، أي أحفاد مثلنا لعظماء في قامتهم.

قامت من مجلسها لتمد يدها إليه لتردف قائلة: هيا فالنهار لا ينتظر فعما قريب سيفضح الستار.

نهضا ليخترقا الجبل حتى وصلا إلى كهف مهجور، فقد بذلت زوجته محاولات عديدة بإقناعه بعثورها على بردية تصف مقبرة فرعونية لم تكتشف بعد، اكتشفتها صدفة أثناء عملها في موقع تصوير أحد الأفلام في المقابر الفرعونية بحكم عملها كمهندسة ديكور، استغلت طمعه لتتسلل لعقله لإقناعه بنزواتها الشيطانية، رتبا لكل شيء وانتظرا ليلة مظلمة غير مقمرة للتنفيذ.

يخرج (حاتم) الخريطة من جيبه ثم يشير إلى يمينه مهللاً: ها هو ذا المكان، يقترب لكومة من التراب، ينبشها في عنف ليصل لأدوات الحفر التي أخفاها سابقًا، يشرعا في فتح جزء من الجبل

ليتطاير الشرر ليضيء جزءًا من المكان، بعد فترة من الوقت تلوح لهما فتحة صغيرة تصل لمكان عميق، يدب الأمل لقلبيهما ملهمًا إياهما الحماس حتى يفتحا فتحة تكفي لمرور جسدهما.

لا تتحمل زوجته صبرًا لتدلف للداخل ممسكة بكشاف صغير، تنزلق قدمها لتهوي داخل حفرة عميقة مطلقة صراخها الذي يتوارى شيئًا فشيئًا، يسكن الصوت ولا يبقى سوى ترددات التي تتلاشى عبر المجهول.

يطلق حاتم صرخاته في هيستيريا، يدلف بنصف جسده باحثًا عنها وصرخاته تتعالى فلا يجد سوى صداها في أعماق ظلام بلا حدود.

يعود الصمت من جديد، يتسلل شبح في ظلام الليل.. يتقدم نحو (حاتم) ببطء، يقف فجأة ليمد يده على كتفه في عنف، تلفت على إثرها (حاتم) والرعب يتملكه، تهوله الصدمة ليسقط على إثرها مغشيًا عليه، لم يكن يتوقع ما رأى، فها هي اللعنات قد بدأت اللهو معه، كيف وقد ظهرت خلفه زوجته وقد اختفت توًا في أعماق المجهول.

●●●

- الغائب حتمًا سيعود، وما في الأرض سيصعد يومًا للسماء، وما بكته الأيام ستقتص لفرحه السنون، وما رحل طوعًا ستجبره الحاجة أن يعود، اليوم ترقص فوق الأرض مختالاً وغدًا سترقص عليك آلام الزمان، ارتد من الأقنعة ما شئت فغدًا سيبليها لك الزمان، أيها العابث بأسرار الماضي انهض فقد أزعجت بعبثك هدوء القبور، انهض لتتلقى لعناتك فقد حل عليك غضب القبور، انهض لتودع أيام هنيئة قد ولت لتستقبل آلامًا بلا حدود.

بتلك الكلمات تحدث شخص يرتدي زيًا فرعونيًا ذو ملامح قاسية من الماضي موجهًا إياها إلى (حاتم) الذي حاول جاهدًا فتح عينيه لاستعادة كامل وعيه... اعتدل في جلسته باحثًا عن المتحدث ليظهر وجه شخص وقد سقط ضوء الكشاف على وجهه ليضيف ملامح مخيفة عليه، تنتاب (حاتم) حالة من الخوف والصراخ ليتراجع في فزع زاحفًا بكلتا يديه ساحبًا قدميه إليه، يصطدم ظهره بجدار الكهف فلا يجد ملجأ للفرار.

يشير (الفرعون) إليه قائلاً: قلاع القدر محصنة فلا مفر لك من الهروب، اهدأ أيها التعس فالخوف من السيف يقتل ألف قتلة، قف بقدمك وقفة الرجال فحديثي لا مجال له مع الجبناء.

بأيد مرتجفة أسند كلتا يديه للخلف على الحائط محاولاً الوقوف بعد أن أخطأ الخوف قدميه على الثبات، احتمى بظهره بجدران الكهف تارة وبكتفه تارة أخرى، استدعى لسانه للثبات لكن الغلبة كانت للخوف لتخرج كلماته مرتجفة ليبدأ تساؤلاته قائلاً: من... من.... أأأأنت؟

احتفظ (الفرعون) بثباته رافعًا رأسه لأعلى: الأدوار تتبدل لديكم أهل هذا الزمان!! أنت ضيف غير مرحب به في أرضي تطرح عليَّ السؤال؟ على أية حال أنا اللعنة التي ستنتقم لعبثك بهدوء أسياد حكمت لنفسها أن تعيش ملوكًا في الحياة والممات. اختر لنفسك لعنة تتراقص على أشلاء مستقبلك.

هز (حاتم) كتفيه مستغربًا مع تحريك رأسه نفيًا ليردف (الفرعون): انتهى وقت الاختيار فالحكم كعادتنا أطلق مسبقًا، اللعنة أصابت زوجتك، لقد وهبت لزماننا جارية، ولزمانكم لن تعود.

أولاه ظهره مشرعًا في الانصراف ليضيف: لا تكرر خطأك بالعبث بهذا المكان وإلا ستحل عليك لعنات لن تتحملها كإنسان.

استغل (حاتم) انصرافه لينقض عليه من الخلف إلا أن (الفرعون) التفت إليه ليمد يده معترضًا ليسقط (حاتم) أرضًا قبل أن يصل إليه بأمتار، حاول النهوض لينقض مرة أخرى لكن

الفرعوني رفع يده لأعلى لتصيب صدمات كهربائية (حاتم) ليطلق على إثرها صرخات متوالية فتخور قواه ليسقط أرضًا ما بين الوعي واللاوعي.

تتلاشى الصور أمامه شيئًا فشيئًا يمد نظره تجاه (الفرعون) الذي انصرف بخطوات بطيئة خارج الكهف الذي التفت بشكل ثابت ليلقي النظرة الأخيرة على (حاتم) قبل أن يكمل طريقه للانصراف، على باب الكهف تنضم إليه زوجة (حاتم) لتتأبط ذراعه ليتلاشا سويًا في الظلام.

●●●

تطاردنا الذكريات ولا يداويها النسيان، تعصف بها الأيام فوق العقول لتسحب حاضرنا للماضي ليعيش آلامًا كانت ذات يوم أحلامًا وآمالاً، جرفتنا فيها الأوهام لنعيش سعادة وهمية ما هي إلا سراب تلهفت له قلوب ظامئة للحب، سراب وارته سحب وهمية تخفي عذابًا يطول محياه بعد سعادة قصيرة قصر سحابة صيف عابرة. تدور عجلة الزمان لتجلي صدأ الوهم لتظهر الحقيقة الصادمة أن السعادة ما هي إلا أوهام ليس لها وجود، أوهام تناستها العقول لتخبرنا المواقف والأزمان أنها ما كانت إلا أوهام منسية.

يصارع العمر الزمن لا الزمن يتخطاه ولا العمر يبقى، الكل ينجرف نحو النهاية. يمر عام على اختفاء (كاميليا) زوجة (حاتم) ورحيلها مع الفرعون ليعيش (حاتم) حياة جديدة تخفي أسرارًا واراها عن الناس لسبب لا يعرفه سواه، ذات ليلة بعد انتصاف زمنها أوى (حاتم) إلى فراشه عازمًا الذهاب لعالم الخيال، مد يده لإطفاء مصباح حجرته ولكن الإضاءة عادت من جديد.

ملكته الدهشة وبخطوات بطيئة عاد لإطفائه ولكن المشهد عاد للتكرار.

وقف بعض الوقت بين فراشه وبين طريق الإضاءة وبعد تردد قام بإطفائه، في تلك المرة لم يضء المصباح، ذهب لفراشه وسط الظلام ولكن فجأة أضيء المصباح إضاءات متقطعة ليلوح له وجه زوجته (كاميليا) جالسة على أطراف سريره على وجهها بعض الكدمات وترتدي زيًا فرعونيًا، تراجع للخلف فانقطعت الإضاءة.. يرتطم ظهره بجسد غريب ليجد زوجته خلفه بعد إضاءة المصباح مرة أخرى، يلتفت فجأة ويتراجع في خطوات بطيئة دون أن تنبت شفاه بكلمة، يترك جسده يهوي على سريره ونظره يتابع زوجته بعد أن اتسعت عيناه دهشة.. تتقدم نحوه في خطوات بطيئة لتقف منتصف الطريق وتبدأ الحديث: عام مر وأنا في أحضان الماضي،

لم تكلف نفسك العناء بالبحث عن قلبك الذي رحل هناك، كأنك ودعت حملاً ثقيلاً حمله عنك القدر، تركتني للماضي البعيد دون أدنى تضحية.

قام من مجلسه وفرد كفيه لأعلى قائلاً: ومن يصارع الأوهام؟ الماضي وهم... الماضي خصم جبان يطلق سهام الألم ثم يختفي وأنى لنا الوصول إليه؟

هزت رأسها استهزاءً: ولكنك لم تكلف نفسك عناء البكاء عني!!!

تحرك خطوة للأمام وقال: ومن قال ذلك؟ بكيت عليك الليالي، نعيتك لكل الناس، صرخت بحبك الذي كان.

– وفي النهاية تعيش حياة طبيعية وكأن شيئًا لم يكن، وكأنني لم أرحل، وكأن حبك الوحيد لم يخطف منك عنوة.

قابلته بتلك الكلمات الثقيلة التي تحملها ليعطيها ظهره قائلاً: الحياة لا تقف على أحد. لا الحزن يدوم ولا الآلام تستمر، لكل شيء وقت، ومهما طال الحزن لا بد لنا أن ننسى، أحلام الروايات التي نتغنى بها تتلاشى مع الواقع، عندما يأتي الاختبار نكتشف أننا بشر وأن حبنا لم يكن سوى أنانية.

- أنانية؟

هكذا تساءلت ليجيب بعد أن التفت إليها: نعم أنانية، حبنا للآخر في ذاته حب لذاتنا، وما إن يرحل نبحث عن حب جديد نستمر معه في الحياة، لقد غيرنا معنى الحب، وأصبح كحب المومسات، إن لم نجده هنا نبحث عنه هناك، وكأن الحب أصبح أحد ضروريات الحياة، المهم أن نجده وليس مهمًا مع من نمارسه، وإن ضاع نبحث عن غيره، أرأيتي أن الحب أنانية؟! الحب في طي معناه حب لأنفسنا لا حبًا في الآخر.

صرخت فيه قائلة: والزواج المقدس؟

ضحك ضحكات استهزائية ليتبعها: لا شيء أصبح مقدسًا، كل المعاني تبدلت والمصلحة الشخصية غلبت، الكل يبحث عن راحته، حب الزواج حب عابر تعصف به أول مشكلة ليبحث كل منهما عن شخص آخر، يا عزيزتي لقد سلبنا من الأطفال أنانيتهم.

- ولكننا لم نشاركهم براءتهم.

هكذا أجابت متأسفة... دارت في الحجرة بضع خطوات ثم أردفت: ذات مرة عندما ضاقت بي الحياة فكرت في الانتحار، لكنني تراجعت عندما لاح في مخيلتي من أحب، منعني الخوف

من حزنهم على رحيلي، لكني الآن أدركت أن من يرحل ترحل معه ذكرياته ولا يبقى سوى النسيان، الآن أدركت أن كل ذلك أوهام.

ثم لمعت عيناها وقالت: لكن هناك بالتأكيد من حزن على فراقي.

ابتسم وقال: تقصدين صديقتك؟

ثم ضحك استهزاءً وقال: لم تكن تفرق بينكم الأيام ولكن بعد رحيلك عاشت أيامًا وأسابيع وفية لذكراك، ولكن الزمن لاشى الحزن بداخلها لتعيش حياة طبيعية وأقصى صنيعها إطلاق الرحمات عند ذكر اسمك.

أطلقت التنهيدات مع الآهات: آه من ذلك الزمن، وما أقسى مشاعرنا، أصبحنا كالحجارة، لا قلوب تنبض ولا مشاعر بالآخرين تشعر.

قطع حديثها طرقات على باب الحجرة صوت امرأة منادية على (حاتم) فما كان منه إلا أن طلب منها الانصراف الآن... اقتربت (كاميليا) بعض خطوات من (حاتم) لتبتسم ابتسامة ماكرة: لقد عرفت الشقاوة من بعدي.. يبدو أنك تبحث عن نسياني بقضاء الأوقات مع المومسات؟

عبس وجهه نافيًا: إنها زوجتي وأمًا لطفلي الذي أوشك على الوصول.

احتلت الدهشة وجهها وتلفتت يمينًا ويسارًا غير مصدقة، رفعت يديها في وجهه صارخة لتقبض كفيها في اللحظات الأخيرة: زوجتك؟ أي امرأة حلت بديلة لحياتي؟ أهكذا أنتم معشر الرجال لستم أهلاً للوفاء... أي شهوة سحبتك لهذا الجرم؟

صرخ فيها قائلاً: منذ لحظات غفرتي لي زانيًا، والآن يقتلك اليقين أني زوج... يا عزيزتي لقد كنت مخلصًا لك في حياتك وزوجتي أيضًا كانت مخلصة لزوجها السابق وإلا فهي أيضًا من معشر النساء لا تعرف للوفاء طريقًا.

عاد المصباح للانطفاء مرة أخرى وما هي إلا لحظات ليعود الضوء من جديد ليظهر معه (الفرعون) بنظراته الحادة ووقفته الشامخة ليمد يده تجاه (كاميليا) قائلاً: هيا لتعودي إلى ماضيك، فحياتك فيه أوشكت على الانتهاء، لقد صدر القرار بأن عودتك مرهونة بتقديم قربان لموضع سقوطك، وألا يقل القربان عن مائة ألف جنيه، يلقيها هذا الإنسي في فتحة عبورك للماضي عندما يكتمل القمر بدرًا في السماء، وإن لم يفعل سترافقك زوجته الثانية في الماضي بلا عودة، وهذا هو الحكم الأخير.

نظرت (كاميليا) إلى (حاتم) نظرات عطف بألا يترك تلك الفرصة الأخيرة لتختفي مرة أخرى مع (الفرعون) بعد أن عاد الظلام من جديد.

سار (حاتم) تجاه أزرار المصباح ليضيئها ويطفئها بشكل متتابع بعدها أطلق ضحكات هيستيرية متقطعة ثم أطفأ المصباح وأشعل ثقابًا ليظهر وجهه المخيف في الظلام.

●●●

مع اكتمال القمر أوشكت الحقيقة أن تكتمل، واقترب الشك أن يرحل لينتصب ميزان العدالة ليطلق حكمه الأخير معلنًا أن لكل شيء نهاية، ممسكًا بصولجان الحق يجلس العدل على كرسي الصبر معلنًا أن القصاص لابد أن ينفذ مهما طال الزمن ومهما تحصن المذنبون.

يراقب (حاتم) الطريق في صعوده للجبل ممسكًا بحقيبة قربانه التي فرض عليه تقديمها، مد يده ليتحسس النقود ليطمئن أن كل شيء على ما يرام، تسلل داخل الكهف وما إن وصل لبوابة عبور زوجته للماضي، ألقى نظرته الأخيرة على الحقيبة، تحسس أجزاءها، ثم حضنها حضن الوداع، وبحسرة ألقاها في غياهب الجب، رحل ونظره يتابع الجب وما إن وصل لمدخل الكهف غاب

في الظلام ليعود الهدوء لسابق عهده، يمر الوقت ولا شيء سوى صمت الليل بهدوئه المميت، يشق هذا الصمت ظلان يتراقصان على شموخ الجبل، يتسللان لداخل الكهف.. يتبادلان القبلات والأحضان لتستمر الطقوس العاطفية بعض الوقت ليهمس أحدهما: عام مر على حبك ولازال يزيدني الزمن بك عشقًا، لا زلت أجمل امرأة في حياتي ومن أجل إسعادك أقدم حياتي قربانًا لعظمتك.

احتوت رأسه بيديها لتضمه إليها ولسانها يحدثه: بل حياتي فداء لعشقك، فبهجة الحياة لم تكن إلا معك.

ثم لمست خديه بكفيها مضيفة: أريد أن أحيا ألف حياة من أجلك، بل معك يموت كل ما سواك.

أمسك كفيها ليضعهما جانبًا ليقترب من أذنها: حبيبتي (كاميليا) بأمري أنا (الفرعون) آمرك بأن وقت العشق لن يزول، أما الليل فأوشك على الرحيل، من الأفضل أن نغتنم قربانا وفي عش سعادتنا نمارس حبنا كما نريد.

التفتت متأبطة ذراعه لتسحبه إلى الجب... أدلفت يدها بداخله لتتحسس أركانه لترتطم بالحقيبة لترتسم على إثرها السعادة على وجهها، قامت بسحبها، ثم فتحتها والابتسامة تزداد ارتسامًا... وما

إن وقعت عيناها على من بداخلها أطلقت الصرخات: إنها أوراق بلا فائدة.... إنها أوراق بيضاء... لقد خدعنا.

مد يده ليتفحص صدق ما أعلنت لينبش محتوياتها في هيستريا: مستحيل... مستحيل... كيف حدث ذلك؟؟!!

- أخبركم كيف حدث ذلك.

يلتفتان للصوت القادم من الخارج فإذا بـ (حاتم) وقد وقف بمدخل الكهف، تملكتهما الدهشة لتأسرهما في عالم اللاوعي، يقطع تلك الحالة (حاتم) ليضيف: زوجة وقعت في براثن العشق، نسجت خيوط الخيانة لتهرب بعشيقها من قيود زوجها، أرهبتها الفضيحة فاستغلت عملها كمهندسة ديكور، حياتها مع السينما احتل جزءًا كبيرًا من عقلها، عزمت أن تنفذ إحدى رواياته في الواقع، ولكن تنفيذها كان فاشلاً.

حاولا الهروب أثناء حديثه لكنه أشهر سلاحه تجاههما محدثًا: لا تقطعوا هذا الجو الدرامي بآخر حركي (أكشن)، دعوه جانبًا فدوره حتمًا سيأتي.

تثبتا دون حركة ليمد يده بشكل مسرحي: دعونا نكمل السيناريو الدرامي.

تحرك بضع خطوات ثم أردف قائلاً: صممت موقعًا بطريقة احترافية وجب وهمي متصلاً بسلم للهروب لتوحي لي بأنها سقطت في القاع السحيق، بمساعدة عشيقها الذي مثل دور فرعوني بسذاجة محاولاً إقناعي بما حدث، في الحقيقة لم أتوقع ما حدث إلا أنني اكتشفت حقيقته فيما بعد.

ثم ضحك استهزاءً وأضاف: حائط زجاجي لإيهامي بأن هذا العاشق له القدرة على إسقاطي عن بعد، وأسلاك كهربائية غير معزولة تنساب من سقف الكهف تتحكم بها الخائنة من الخارج لتوحي لي بأن العاشق يطلق صعقاته من بعيد.

ثم أشار بمسدسه تجاهها وقال: احتفاظك بمفتاح شقتي دفعك لاقتحام حياتي لابتزازي من جديد، فالساقطة دومًا تحوم حول حانتها، ولكن غباءكم خانكم لتنفيذ حيلتكم.

ثم نظر للعاشق مستهزءًا: مائة ألف جنيه؟ كان من الأذكى أن يكون القربان ذهبًا ليكون أكثر إقناعًا دراميًا.

صفقت (كامليا) استهزاءً قائلة: أحسنت... لقد جئت اليوم لتستعرض لنا مواهبك في حل الألغاز.

ثم سكتت برهة وأضافت: وهل نخوتك بمستوى ذكائك لتترك زوجتك في أحضان آخر مع مباركتك بالعلم بذلك؟

نظر للأرض قاضمًا على شفتيه، ثم رفعها جانبًا: الصمت من طعنات الغدر ليس معناه أننا فارقنا الحياة، وليس معناه أننا أصبحنا بلا قلوب، إنها تقتل فينا الإحساس وتقتل فينا الشعور بالحياة، إنها حالة ما بين كره الحياة وكره الموت، ولكن بالتأكيد نتألم آلامًا لا توصف، طعنات الحب مسمومة لا يشعر بها إلا من أحب بصدق.

صمت قليلاً ثم أضاف: على أية حال أعظم انتقام للخونة تركهم للعيش سويًا، من يخون مرة سيخون الأخرى، وقتها سيكون الانتقام لكليكما أشد من انتقامي.

حاول العاشق أن يستفزه ليقترب من (كاميليا) ضامًا الأخيرة بذراعه قائلاً: ومع ذلك مر عام ولازال الحب محتويًا علاقتنا.

ابتسم (حاتم) مع بعض الضحكات المكتومة: سنرى... لازالت الحياة لم تظهر وجهها القبيح بعد، وسنرى أي حب وأي علاقة ستدوم؟

- معرفتك بالحب معدومة وآراؤك به مريضة، كنت بالسابق نادمة عما فعلته معك ولكن لقاءك الأخير وسماعي لآرائك في الحب أكد لي أني على الطريق الصحيح.

هكذا كانت إجابتها له ليضيف رده بلا تردد: تلك الآراء التي أطلقتها على مسامعك منذ ليال كانت تعبر عن نظرياتك أنت للحب لا تعبر عما أؤمن به، لي زوجة الآن أستمتع بتضحياتها من أجلي كما أستمتع بتضحياتي من أجلها، هي ليست مثلك كما أنك لست ككل النساء، وما عبرت به لك لم يكن سوى استفزاز ليس إلا.

صرخ العاشق مع محاولاته بمهاجمته: لابد لنهاية تلك المهزلة، لا وقت لتلك المهاترات.

أطلق (حاتم) إحدى طلقاته أرضًا ليتراجع على إثرها الآخر: تذكر بأنك من استعجلت الجزء الحركي (الأكشن).

ثم قذف بمسدسه بالداخل وضغط على أحد المفاتيح بجدار الكهف لينغلق باب زجاجي محاصرًا العاشقين بالداخل، مد (حاتم) يده على مفتاح أخر لتنطلق الغازات داخل المكان ثم قام بإغلاقها بعد أن أطلق كلاهما السعال في محاولة للتغلب على الغثيان.

أشار (حاتم) للحائط الزجاجي قائلاً: هذا زجاج مقاوم للطلقات، والهواء النقي الآن بعد هذا الغاز الذي أطلق منذ لحظات لن يكفي كليكما لشروق الشمس، أملكم الوحيد أن هذا الهواء لن يكفي إلا شخصًا واحدًا قبل وصول حارس هذا المكان في موعده المعتاد.

ثم نظر للمسدس الملقى أرضًا مطلقًا ضحكات شيطانية: هذا هو الانتقام.. ليس بيدي.

ثم أشار إليهما بأصبعه: بل بأيديكم.

ثم أولاهما ظهره قائلاً: في انتظار معرفة مصير هذا الحب والعشق الذي رقص له (كيوبيد الحب) منذ لحظات.

ينظر كلاهما للمسدس الملقى أرضًا، يتبادلان النظرات والصمت بعض الوقت، وفي لحظة واحدة انطلقا للإمساك به... يقبضا عليه سويًا... يتصارعان أرضًا في محاولة للبقاء، تنحاز الغلبة للعاشق، يعتدل الأخير في وقفته ليصوب سلاحه تجاهها التي على إثره أشاحت بيديها ممانعة مطلقة التوسلات: لن تكون تلك هي النهاية، أين التضحيات وقصص الحب التي تغنيت بها، أنا العشق وأنا الحياة.

- نعم عشقي لك بلا حدود، لكنه عشق جسدي، وعشق الجسد مع انتهاء الغاية يزول. وعشقي للحياة أكبر من هذا وذاك، وقد جاء الطوفان وحان الوقت أن تكوني قارب عبوري للنجاة.

- لا تنهِ حياتي بهذا الشكل المأساوي، إن كنت راحلة لا محالة فلا تحرمني من قبلة الوداع، دعني أرحل في سعادة واكتب لي نهاية تليق بقصة حبنا التي لم يكن لها مثيلاً، دعني أموت كفارسة للحب.

أسقط سلاحه جانبًا ليقترب من فمها ليتبادلا القبلات الحارة لتستغل ذلك لتسحب خنجر من طي ملابسها لتغمده بقلبه قائلة: خنجر الغدر لم يفارقني لحظة، فالخيانة كنت في انتظارها.

ثم سحبته لتغمده مرة أخرى مضيفة: وتلك الطعنة لتذكرك بأنه لا ثقة لمن يقف على حافة الموت.

صوب بدوره مسدسه لقلبها ليطلق ما تبقى من طلقاته ليصمدا للحظات قصيرة يتبادلان فيها نظرات العتاب بعيون متجمدة ثم يسقطان أرضًا مفارقين للحياة، يهوي جسدهما على الحائط الزجاجي لتتناثر أجزاؤه أرجاء المكان.

تختلط دماء الخيانة لتنساب أرضًا زاحفة خارج الكهف، تقترب من أقدام قد وقفت على أعتابه.

سقط ضوء القمر على ظهره بعد أن ظهر كخلفية على كتفه في سماء صافية، ينظر للدماء بعد أن توقف سريانها عند أقدامه، أولاهما ظهره ليسبح في الصحراء، ما بين الضحك والبكاء أطلق ضحكات هيستيرية، ألقى نظره على الكهف قائلاً: قتلهما الوهم، لو صبرا قليلاً لعاشا سويًا للصباح، الغاز الذي أطلقته كان وهمًا، الحائط كان وهمًا، عشقها للحياة كان وهمًا، عشقتها ويبدو أن عشقي لها كان وهمًا، إيماني بوفائها وهمًا، انتظاري لعودتها تائبة كان وهمًا، يبدو أن طرق الحب جميعها تؤدي للأوهام، قناعتنا بأن السعادة تأتي من الخارج أوهام.

ثم رفع يده عاليًا ليدور في فضاء الصحراء صارخًا: كلها أوهام.

ثم وقف لينظر للكهف ليهز رأسه متأسفًا والدموع تنهمر من عينيه: كلها أوهام منسية.

استأنف سيره في الصحراء... يرافق الغبار خطاه ليواري آلامًا وأوجاعًا لا يشعر بها أحد سواه.

●●●

# قبلة الحياة

أصابها الإعياء فسقطت أرضًا... اجتثت الأرض بيديها تبحث فيها عن خلاص... أبى ترابها أن يضمد جراها.... زاد نهوضها صعوبًا كلاب تنهش في أطراف ردائها... زاد الصراخ طلبًا للنجاة... زحفت على بطنها لتلتقط عصى بعيدة لتنهضها من عثرتها... أسندت إحدى يديها على الأرض والأخرى تقبض بقوة على العصى لتنهض بمساعدة ركبتها التي دفعتها بقوة في أحشاء الأرض.... تنكسر العصى لتسقطها أرضًا بعد أن غطى الغبار وجهها.... لم تيأس فهناك من بعيد يأتي صغارها... بالتأكيد لن يتخلوا عنها... إنهم عصب ظهرها ومصدر قوتها.... وقف قلبها خوفًا عندما رأت النار في أيديهم... سرعان ما ألقوها على أطراف ردائها فهربت الكلاب.... اشتعلت النار بردائها... صرخت وزاد صراخها... طمأنوها بأن في النار حتمًا خلاصها.... كيف؟؟؟... أجابوها بأن الخوف سيعطيها قوة تتغلب بها على عجزها.... ركضت الأرض بأرجلها لتفعل شيئًا... فأبى التراب أن يطفئ لهيبها...غابت عن الوعي... تركوها.... لم يستطع أحد أن ينقذها.... انشغلوا باتهام بعضهم بالتسبب فيما حدث لها.... تركوها في إعيائها... تسلل من بينهم ثعبان يتلوى على بطنه...

اقتـرب منهـا... اعتلـى صدرهـا.... اقتـرب مـن فمهـا.... اقتـرب لينفـخ في فمهـا.... ليعطيهـا قبلـة الحيـاة.

●●●

obeikan.com

# المرآة

مسحت المرآة بيدها لعلها تكون تالفة... لكن يدها عادت بخيبة الأمل لتثبت أن المرآة سليمة... وأن وجهها قد غيره الزمن... تلمست وجهها لتتحسس آثار الزمن وقد حفر بأيامه تجاعيد السنين... ابتسمت لترى ظلامًا حالكًا بين شفتيها ولكن غاب عنه القمر... خلعت وشاحها ليتدلى شعرها الأبيض على قضبان بعض صلعتها لتعلن لها أن أجلها قد اقترب على الرحيل... مررت يدها على بطنها المتدلى كأنه يسحبها إلى الليل الطويل... ترقرقت دمعة ساخنة من عينيها الضعيفتين حزنًا من قسوة الزمن وعبثه بشبابها الجميل... دق قلبها حزنًا على سنين أبت أن تعود... آآآه... آآآه.. ما أقسى ذلك الزمن... الآن أصبحت غير مرغوبة... الآن لم يعد لها أي قيمة... الآن لن يبحث عنها أي رجل.. الآن ستمر أمام الناس بدون أن يشعروا بمرورها... إنها الآن ثقيلة على هذا الزمن.... الآن لم تعد أنثى.. إنها الآن عجوز تتعثر في ذكرياتها... رمت المرآة بعنف رافضة حقيقة الزمن... قطع خيالها نداء ولدها عليها... لكنها لم ترد.. بحث عنها في كل البيت تلهفًا... اقترب منها.... ركع على ركبتيه... مسح بيديه الدمع من عينيها... قبل يديها.. حضن رأسها... ابتسم لها... أعلن لها أنه لا يستطيع

العيش بدونها .... أعلن اشتياقه لحضنها وحبها ... تركها ... تابعته بنظرها ... انحنت لتمسك مرآتها المكسورة لترى صورًا مشوهة ... لكنها الآن أجمل صور حياتها ... رأت جمالها الخفي الذي لم تكن تراه من قبل... الآن أدركت أن لكل زمان جمال... وأنها الآن ملكة جمال هذا الزمان.

●●●

obeikan.com

# الوحدة

أوشكت الجدران أن تَئِن... فكرت مليًا أن تحضنه لكنها تراجعت خشية أن تقتله... لم يعد لديه غيره يشتكي إليها وحدته.... تلك الوحدة المريرة التي اعتاد على مرارتها... الأيام تتشابه لديه... والليل يمر كأنه دهور... النوم يمر ثقيلاً.... عقارب الساعة تتثاقل لا تريد المرور.... كل شيء أصبح مملاً... كأس الوحدة لا ينفد لديه... لم يعد لديه من يؤنس إليه وحدته... لم يعد من يحتضنه لحظات ليله... رفع سماعة الهاتف ليتصل بابنه الذي سافر خارج البلاد ليعلن له اشتياقه إليه واحتياجه له.. لكن الرد يأتي قاسيًا أن وقت العودة لم يَحِن... أغلق الهاتف والمرارة تعتصر حلقه... شرد لبعيد وتذكر زوجته شريكة أيامه وتذكر اسوداد الدنيا بعد رحيلها... تذكر والده الذي كان يحمل عنه أعباء الحياة.. تذكر والدته وحنانها الذي لا ينفد... قرر أن يزورهم في القبور.... نادى على زوجته... طلب منها أن تعود... لكن هيهات فالموتى لا يعودون.... نادى على والديه... صرخ بأعلى صوته أنه يحتاجهم... لكن للأسف لم يردوا فالموتى لا ينطقون... ازداد اليأس بداخله.. وتسرب كره الحياة إلى قلبه... قرر هو أيضًا اللحاق بهم... لم يعد لديه الصبر في انتظار الرحيل... قرر

هو أن يذهب إلى الرحيل... تقهقر للخلف ذاهبًا إلى حبيبه.. إلى النيل... ذهب ليرتمي في أحضانه ليكون جواز سفره من الدنيا... حرك قدميه وهو يرفع أحداهما مودعة الزمن وأخرى تدوس على ذكريات مرة ومؤلمة... وصل إليه عازمًا على الوداع.... تسلق الكوبري كطفل يحبو في بدايات عمره... ترك جسده يهوي في أعماق النيل... أشفق النيل عليه رفع أمواجه تلتقطه التقاط الأب لطفله الرضيع... سحبه في أحضانه ليغوص وتغوص معه السنين.... ضاق صدره وتحشرجت عيناه.. رأى في أعماق النيل أحبابه.. رأى والديه وزوجته... مبتسمين مادين إليه أذرعهم... مد هو الأخر يده إليهم... لكن للأسف هناك من انتشله من قاع النيل.... يا فرحة لم تتم.... أنقذه المارة من الموت.... طرحوه على الأرض فاقدًا الوعي والمياه تتساقط عليه... ضغطات سريعة على صدره لتنشيط قلبه.... يستيقظ ليرى نفسه على قيد الحياة... تترقرق دمعة من عينيه لتختلط بقطرات النيل..... أشاح بوجهه لبعيد ليرى طيف زوجته من بعيد تشيح بيدها من أعلى لأسفل لتعلن له أن يحاول في المرة القادمة.... ينهض بصعوبة ليعود إلى الوحدة مرة أخرى... فليس له غيرها بديل.

●●●

# ملاك وشيطان

تركت باب الحمام مفتوحًا أمام زوجها لتأخذ حمامًا منعشًا يغسل هموم يومها... تنزلق قدميها فترتطم رأسها بركن البانيو فتسقط مغشيًا عليها.. يمتلئ البانيو بالمياه رويدًا رويدًا ليغطي جسدها كاملاً... يشاهد زوجها المشهد دون أن يتحرك له ساكن... يا لقسوة هذا الرجل..

– إيه اللي بتقوله ده؟ مش ده اللي حصل خالص؟

= ليه؟ مش ده اللي حصل بالظبط؟

– أيوه بس مش زي ما أنت بتقول.

= هي مش وقعت في أرضية البانيو؟

– أيوه.

= وجوزها شافها؟

– أيوه.

= ومتحركشي؟

– أيوه.

= خلاص يبقى هو قاسي وعديم الرحمة.

– بس الحقيقة غير كده.

= إزاي وأنت اعترفت إنه حصل.. وبعدين أنت مين؟

– أنا أنت.. أنت ناسي ولا إيه؟

= ناسي إيه؟.. مش أنا اللي مألف القصة دي؟

– أيوه.. ومفيش فرق بينا ما احنا شخص واحد.

= طيب ليه القصة بنرويها بشكلين مختلفين طالما احنا شخص واحد وعقل واحد وإيد واحدة اللي بتألف القصة؟

– طبعًا لأننا دايما بنروي الأحاديث بالشكل اللي يناسب فكرنا وهوانا.

= طيب ورينا أنت الرواية من مزاجك عاملة إزاي، واللي بيقرونا دلوقتي يحكموا على الرواية.

– أنت هتدخل حكايتنا جوه حكاية ولا إيه بلاش تخاريف؟

= بلاش أنت تضيع وقت واحكي.

– طيب اسكت خليني أركز عشان أعرف أحكي.

= خلاص هلتزم الصمت واتفضل احكي.

تبدأ القصة منذ عشرة سنوات... عندما وقعت مريضة بين الحياة والموت... حاول جاهدًا أن ينقذها.. ولما تملكه اليأس وأحس بفقدانها... لم يتصور حياته بدونها... أصابته الكآبة حتى أصابه الشلل وأصبح طريح كرسي متحرك... لا تتحرك أي من أطرافه... لا يشعر غير بحواسه الأربع لكنه لا يتكلم ولا يتحرك... تشاء الأقدار أن يتم شفاء زوجته... تشعر بالمسئولية تجاه زوجها... أقسمت بأن تكون كل حواسه وألا تتركه أبدًا... أصبحت تخدمه بلا شفقة ولا ملل طوال عشر سنوات... ولا تغيب عن عينيه أبدًا.. وفي ذات الأيام بعد يوم طويل من التعب أرادت أن تأخذ حمامًا تغسل به هموم يومها... وحتى لا تتركه وحده تركت الباب مفتوحًا حتى تلبي إشارته وقت احتياجه لها... تفتح المياه لتملأ البانيو وهي واقفة في منتصفه... تخطئ قدميها الأرضية فتسقط بعد ارتطام رأسها بجدار البانيو... تختلط الدماء بالمياه... تسقط مغشيًا عليها... تزداد المياه في الصعود حتى تغطي وجهها كاملاً... تسيل المياه من جدار البانيو مختلطة بالدماء لتغطي أرضية الحمام... يشاهد زوجها المشهد... ينفعل.. يتعصب... يثور.. تشتعل النيران بقلبه... تتصارع المشاهد أمامه... يريد أن ينقذها... هيهات هيهات... فأعضاؤه لا تساعده... تزداد

حالـة الهيـاج بداخلـه حتـى لا يتحمـل قلبـه المشـهد... يجلـس حزينًـا ويمـر اليـوم واليومـان... تمـلأ الميـاه جـدران المنـزل حتـى تخـرج مـن بـاب الشـقة... يلاحـظ الجيـران الميـاه... يحاولـون جاهديـن الطـرق علـى البـاب ولكـن بـلا مجيـب... يقتحمـون البـاب... يواجههـم المشـهد المهيـب... زوج جالـس علـى كرسـيه وقـد فـارق الحيـاة... وجسـد زوجتـه وقـد طفـا في الميـاه... آآآآآآآآآآه مـن قسـوتنا عندمـا نحكـم علـى الأشـخاص وفـق أهوائنـا سـاعتها نكـون كشـيطان في هيئـة إنسـان.

●●●

obeikan.com

# الأطلال

ينتهي يوم أخر من أيام تتشابه لديها... يأتي الليل الذي لا يختلف كثيرًا عن نهارها... مرارة الوحدة هي مؤنسها الوحيد... الصمت فقط ما يتردد صداه في أرجاء البيت... السكون القاتل يلازمها في تحركاتها... تتعلق الذكريات بأطراف ردائها لتوسوس لها بماض كان يوصف بالسعيد... الآن تعيش وحيدة مع جدران لا تجيد غير السكوت... تقف عقارب الساعة عن الدوران ليمر اليوم كدهور... تراقب الطريق لعل قادمًا يؤنس إليها وحدتها... ترنو بنظرها على هاتفها لعله يبشرها بزيارة أبنائها لكنه الأخر أدمن الصمت والسكون... يطاردها الهم فلا تجد مفرًا للهروب... تداعبها الذكريات فهي مؤنسها الوحيد، تهرب بها خفية لماض يأبى الرجوع... لم تكن تعلم أن للزمن ألف وجه وأنها بعد لم ترَ وجهه القبيح... كانت تظن أن العمر بسنينه هو الأقصى على الإنسان يغير شبابه لشيب في طرفة عين، لكنها أدركت أن للوحدة رمحًا تسدد طعناتها كل حين... يقطع خيالها طرقات على الباب... تسرع في خطواتها فتتعثر فتنهض من جديد... تصل لغايتها فتفتح الباب على خيبة أمل بأن الخيال قد سحبها لبعيد... تجرجر يأسها وتعود للحزن من جديد... تذهب للنوم وتطفئ الأنوار لتترك ظلامًا

يتوارى به ماض بعيد... تستعطف النوم أن يأتي لينقذها من ألم قد حل بها كضيف ثقيل... بعد ساعات تتراخى جفونها استعدادًا للذهاب لوهم جديد... يوقظها طرقات على الباب فتنهض برأسها تتسمع الصوت الذي عاد للسكون... تهمس: «كالعادة خيال جديد قد يقودني للجنون» تعود للنوم من جديد... بالخارج أحفادها يحاولون الطرق على الباب... يهمون بالذهاب فيطرقوا الباب للمرة الأخيرة قبل الرحيل... تتقلب في فراشها فيأتيها الصوت، فتتسمعه فلا تجد غير السكون... تضع رأسها تحت وسادتها وتهمس: «يبدو أن الخيال قد عاد من جديد».

●●●

obeikan.com

# البكاء في أحضان الماضي

«ضحيت بعمري وشبابي من أجلكم ولم أجنِ سوى مرار الصبر... قدمت لكم الإخلاص ولم تقدموا سوى جحود القلب... أيديكم لم تمتد إليَّ إلا بالبطش ولسانكم لم يحنُ عليَّ إلا بالذم.. كفاكم ظهورًا بألف وجه فذاكرتي لم تعد تحتمل أن تتعرف عليكم... ارحلوا أو أرحل فالعالم لم يعد يسعنا... حبكم للحياة سيجبرني على الرحيل... لا وداعًا ولا إلى اللقاء... عيشوا مسجونين في حيوانيتكم... سأذهب بلا لقاء وما أخشاه أن نتقابل سويًا يوم الحساب».

هتفت بتلك الكلمات ثم هوت في أحضان الأرض... صمت للحظات... سكون تام... وبعدها تصفيق حاد من الجمهور يملأ المسرح ضجيجًا وحفاوة... تُفتح الستار لأكثر من مرة لتحية الجماهير... تغادر المسرح بصعوبة من كثرة معجبيها... تغمرها السعادة بنجومية أوصلتها عنان السماء.... بعد مرور السنين... لا يبقى في العام سوى فصل الخريف... يتسلل شبح البياض لليل شعرها... يذبل ربيع عمرها سريعًا... تتساقط أوراق الحب من حياتها... ينفض المدعوون بعد انتهاء الزفاف... تقبر وحيدة وسط شقة رديئة بلا زائر ولا مؤنس... ترقب هاتفها بعد أن اشتكى الإهمال... يئن باب الشقة من كثرة الغبار...

تدور حول نفسها تبحث عن ماضيها... تصرخ بصوت عالٍ تحدث أشخاصًا لا وجود لهم في الواقع أو في الخيال... تصرخ منادية: «أين المعجبين.. أين الأضواء.. أين معجبي طلتي.. أين معبودي هواي.. بل أين عمري الذي أفنيته في سبيل إسعادهم.. أين عمري الذي ضاع.. بل أين أنا؟؟!!.. ذهب الشهوانيون ولم يبقَ غير الوحدة بديل... ذهب الجمال وذهب المال ولم يبقَ لي غير شبح الماضي.. رحل الجميع... إلا العذاب أبى الرحيل". تترنح فتسقط أرضًا... يسود الصمت... سكون تام.... ولكن تلك المرة بلا تصفيق وبلا جماهير.

●●●

obeikan.com

# بين أنياب الزمن

صراع يومي يبدأ به صابر صباحه وهو الجري وراء أتوبيس النقل العام للذهاب إلى عمله.. يكون سعيد الحظ إذا استطاع اللحاق به وأمسكت إحدى يديه باب الأتوبيس وإحدى رجليه سلمه وباقي جسده معلق في الهواء.. لا يهمه أن يجد مكانًا بداخله ولا جال بخاطره مرة أن يجلس على كرسيه ولكن أقصى أمانيه أن يكمل الأتوبيس الخط بدون أن يدعي السائق العطل لتنزيل الركاب... يتعثر الأتوبيس في الطريق يتبعها صوت الموتور المتقطع مع إعلان السائق بعطل الأتوبيس... يتأفف الركاب بهمهمات معهودة ومتكررة لا تحرك ساكنًا... يتحسس صابر جيبه فلا يجد بداخله سوى اثنين من الجنيهات أحدهما سيعود بها من عمله والأخرى سيحضر بها حلويات لابنه كما تعَود... يدور بخاطره ماذا يفعل الآن ليلحق بعمله هل يركب مواصلة أخرى ويستغني عن شراء شيء لولده أم يذهب إلى عمله سيرًا على الأقدام... لا يطول التفكير كثيرًا وفي النهاية يقرر أن يكمل سيره إلى العمل... يضيع من الوقت الكثير ويصل إلى عمله متأخرًا.. يهرول مسرعًا إلى البوفيه لإحضار القهوة التي تعود رئيسه أن يشربها صباحًا... يدخل عليه بأيدٍ مرتعشة... يرمقه رئيسه بنظرة قاسية... يضع

القهوة بتردد على المكتب.. فتخطئه يده لتتسكب القهوة على المكتب... يشطاط رئيسه غضبًا صارخًا: مش تفتح يا بني أدم؟

يتلعثم صابر قائلاً: أسف يا افندم مكنشي قصدي. يشيح بورقة ممسكًا بها إلى أعلى: سيادتك جاي متأخر وكمان جاي لي بمصيبة أنت نسيت نفسك ولا إيه... أمثالك ما ينفعشي معاهم الذوق، أنت تسيب الشغل أحسن لك.

تنزل الكلمة عليه كالصاعقة ويتوسل إليه: ليه يا افندم بس... عمرك شوفت مني حاجة وحشة أنا بقوم بشغلي كويس ومش مقصر فيه... بلاش تقطع عيشي أرجوك.

يصرخ بصوت سمعه كل من في المكان وهو يرمي الورقة في وجه صابر: برة مش عايز أشوفك قدامي... يا فتحي شوف الكائن ده وطلعه برة.

يشعر بالخزي والانكسار وتجرحه نظرات العاملين إليه... يجرجر أقدامه، وأنفاسه تخرج منه بصعوبة... يصل إلى المحطة بعد عناء... ينتظر أكثر من ساعة فلا يأتي إليه أتوبيس... يجد ميكروباصًا ينادي: «السيدة عيشة السيدة عيشة»... يتحسس جيبه ويخرج ما بها ينظر إلى الجنيهين ويتذكر ابنه... يمتم قائلاً: «مش مشكلة أركب بجنيه ونص وأجيب له أي حاجة بنص

جنيه»... يدلف داخل الميكروباص.. يخرج جنيهًا ونصف ليعطيها للسائق.. ينظر السائق ليده قائلاً: الأجرة اتنين جنيه واللي مش عاجبه ينزل أنتم بتشوفوناش بنتمرمط في محطات الجاز أد إيه... هات يا حبيبي نص كمان.»

يخرجها صابر من جيبه كأنه اقتلع جزءًا من جسده ويترآى له نظرات ابنه عندما يعود وهو يبتسم: «جيبت لي إيه معاك يا بابا؟»

يدفعها إليه مرغمًا... يخرج نظره خارج العربة يتمتم بداخله قائلاً: أن تكون مثاليًا في عالم غير مثالي جريمة... لأنك هتتعب في التعامل معاهم وهتكون بين صراعين يا إما تعاني بمثاليتك يا إما تبقى زيهم عشان ترتاح وفي الحالتين أكيد خسران.

تصل العربة لميدان السيدة عائشة ينزل منها بخطى بطيئة.. يفكر كيف يقابل ابنه بأيدي فارغة... يفكر كيف يخبر زوجته بانقطاع عمله.. يفكر في إيجار شقته التي لا يستطيع على دفع إيجارها مع عمله... يدخل بيته صامتًا... تتساءل زوجته عن حاله فلا يجيب... يتشبث ابنه بجيبه ليبحث عن هدية كل يوم فلا ينظر إليه... يدخل إلى حجرته... يتمدد على سريره... لا ينطق بكلمة... تدخل عليه زوجته... تحسس برفق كتفه قائلة: «صابر

مالك... مش عادتك لما تيجي كل يوم... فين الكلمة الحلوة بتاعة كل يوم... فين حضنك اللي بتقابلني بيه لما ترجع من الشغل... صابر أنت ما بتردش ليه... صابر.. صابر.. مش عادتك متردش عليَّ لما أكلمك» تهزه بعنف وصوتها ينطق خائفًا: «صابر رد عليَّ يا صابر... صابر... صابر».

لا يأتي الجواب من صابر.... لقد مات صابر .

●●●

obeikan.com

# بئر الخيانة

بعض الأحيان يأبى الماضي أن يرحل، يلازمنا دومًا ويصبح هو الحاضر والمستقبل، شهور عديدة لم يمل من حصرها يزور البئر ليلاً ويغادره عند بزوغ الفجر، يأتيه متخفيًّا يتذكر فيه ماض مؤلم تأبى جوارحه أن تنساه. عند هذا البئر ولد له صديق وعنده مات، مات وهو حي، فبعض الأحياء أموات وبعض الأموات أحياء، كل بمنزلته في القلب، هذا القلب دومًا ما يقودنا إلى الهلاك، أي حلم يستطيع أن يحلمه وهذا الكابوس يرافقه في اليقظة والمنام؟ كابوس مر عليه تسعة أشهر لو كان جنينًا لخرج للحياة لكنه كان سقطًا يؤلم القلب والوجدان، عند هذا البئر كان أخر لقاء، كان الليل دامسًا وأي نور ينير قلوب أظلمها الكره والبغضاء؟ بدأ صديقه حديثه معه ساردًا له فضائل وصفات لم يجدها في أي إنسان، ذكره بأنه كان له حلم لا يصدق أنه يحياه في الحياة، مقدمة زرعت الخوف بداخله فالمقدمات الجميلة دومًا لا توحي بالأمان، طوفان البحر يأتي هدرًا بعد هدوء طال عليه الزمان. اقترب صديقه من البئر وقال: كيف حال سري معك؟ اقترب منه خطوات وقال: سرك بداخلي كأنه بداخلك بالتمام. التفت صديقه إليه قائلاً: ولكني أخشى على سري معك وهذا ما ينغص عليَّ في المنام.

قال له مستغربًا: أي قول تخبرني به؟ أجزاء الوفاء التخوين وفقدان الأمان؟

جاء الرد من صديقه: السر جنين لابد أن يصرخ للعالم عندما يخرج للحياة، سري لك أخافني منك وأحسسني بأنك كاشف لكل أمري وكأنني عار أمامك مما دعاني لاحتقارك، كل مرة أحادثك فيها أقرأ في عينيك كل ماضيَّ الذي أهرب منه ووجودك في حياتي يفكرني دائمًا بزلاتي.

اقترب منه ونظر في عينيه وقال: أي كلام تتحدث به؟ وأي شخص تقصده؟ كأني أسمع كلامًا من شخص لم أعرفه من قبل! صعد صديقه أعلى حافة البئر وقال: وأين تحفظ الأسرار؟ صعد بدوره هو الأخر أعلاه وقال: الأبار تحفظ الأسرار. مسك بيده وألقاه بداخل البئر وضحك قائلاً: كعادتك دومًا تأتي لي بالإجابة. فنعم الصديق حيًّا ونعم الصديق في عالم الأموات. ينطلق صوت الارتطام في المياه لينطلق صداه في المكان ثم يسود هدوء يقطعه صوت يأتي من البئر: فلتحفظ خبر سقوطي في البئر سرًا فلن تجد غيري والبئر حافظين لسرك في هذا المكان.

يمر الليل طويلاً وهو يحاول الصعود وتأبى محاولاته بالفشل، تنجح إحدى محاولاته ويصعد أعلاه، ينظر إلى البئر والحسرة تتملكه، يلتقط إحدى الحصى ويكتب على حافة البئر: «فليرحل من يرحل فلم يوجد بعد من يستحق البقاء».

# انتحار

«سامحوني في كل خطأ ارتكبته في حق أي حد... سامحوني على أخطاء ارتكبتها كإنسان.. صعب أكمل في عالم زي ده... مفيش غيرك يا نيل كنت الحب الأوحد في حياتي... عشان كده هيكون أخر نفس لي في الحياة معاك... مش زعلان من رحيلي من الدنيا زي رحيلي من رؤياك... دايمًا كنت صافي وتهون الحياة معاك... الوداع لكل البشر... الوداع لحياة مرضيتش بيها ولا رضيت عني... الوداع لآلام عايز أضع حد لنهايتها... صحيح رايح لمصير مش عارف مساره بس مش قادر أكمل في حياة زي دي... الوداع ليكم يا بشر... لم أنسَ يومًا أنكم بشر ويا ريت متنسوش إني كنت إنسان... إنسان من حقه يخطئ زي الجميع.. إنسان من حقه يخطئ ويتوب.. مش أول خطأ أرتكبه تبعتوني بيه للجحيم... أنا فرحان برحيلي... يا ريت متكونوش فرحانين زيي يا ريت تخيبوا ظني... الوداع».

نظر لقاع النيل ليلقي له نظرة الوداع ثم صعد حاجز كوبري قصر النيل ليضع حدًا للحياة.. مسك بعمود الإنارة أعلاه ثم نظر للسماء وقال: «سامحني يا رب»... أغمض عينيه وتنفس هواء النيل الذي دومًا أحبه ومد ذراعيه ليطلق لجسده العنان... استعد

كل شيء للرحيل لكن حدث ما لم يبغاه... أمسكته يد بها تجاعيد الزمن وقال له: سايب الدنيا ورايح فين؟

نظر إليه في صمت وقال: رايح لدنيا فيها بشر غير البشر.

ابتسم العجوز ابتسامة باهتة متسائلاً: وتموت كافر؟

بادله الأخر بابتسامة زائفة وقال: وإيه الفرق؟... اليأس رفيقي واليأس كفر.

نظر العجوز للسماء قائلاً: والتوبة إيمان جديد.. والأمل حياة تانية بتعيشها من جديد... انتحارك اعتراض على وجودك في الحياة، والحياة هبة من رب العالمين.

نظر لأسفل وقال: جربت لكن كل مرة الناس تجبرني على التغيير للأسوء، فين الناس اللي كان الحب يملأ قلوبها، نيل واحد بيجري في شراينهم، علم واحد بيرفرف فوق رءوسهم وفي الأخر سددوا كل الأسلحة في وجوه بعضهم البعض، الهواء بقى ملوث بالكراهية، سنت سيوف الخيانة على رقاب الجميع، الإيد اللي كانت بتمتد تسندك في محنتك بقت هي اللي بترميك في قاع، بالنهار يشاركونك أحزانك وبالليل تجدهم خصمك في المعركة، أي نوع من الحياة دي أديها الأمل؟

مد يده المرتعشة لكتفه وربت عليها وقال: أنت بنظرتك ليهم دي بتشارك في الانحدار اللي وصلوا ليه، غير من نفسك وبكرة أنا أغير من نفسي وبعده هما هيغيروا من نفسهم وبعد فترة هنرجع لطبعنا من جديد.

دار بنظره في أرجاء المكان وقال مستهزءًا: بتحلم، والأحلام دايمًا صعب تتحقق في الواقع، احنا خلاص نازلين من المنحدر، لا الحضارة هذبتنا، ولا الأديان هادتنا، بقينا وباء على الحياة، احنا عار على مصرنا اتوهبت لينا واحنا منستحقاش.

تنهد العجوز ليتغلب على يأسه وقال: الشجرة الكبيرة لما تموت حياتها بتنتهيش، موتها بيكون فيه الحياة بتنبت من بذورها حياة جديدة بتدي أكتر من اللي قبلها لما تجيلها الفرصة، لما يجيلها المطر.

- واحنا في أي مرحلة؟ هكذا سأل الشاب.

رد العجوز وقال: الإجابة عند الزمن هيجاوب بيها لينا في يوم من الأيام... وساعتها هنحس إننا كنا عار على التاريخ... التاريخ مش هينسى أبدًا الإساءة اللي اتسببنا فيها لمصر... مش هينسى... وما أقساه التاريخ... التاريخ لا يرحم أحدًا.

ثم كررها تكرارًا وهو يبتعد والصوت يختفي رويدًا رويدًا:
التاريخ لا يرحم أحدًا... التاريخ لا يرحم أحدًا.

●●●

obeikan.com

# لعنة الوفاء

- اتفضلي يا حاجة ده المكان اللي أنتي بتسألي عنه.

= مكان إيه يا ابني؟

- ده المكان اللي أنتي عايزاه وقولتيلي تعالى وصلني.

= آه.. معلشي أصلي بنسى... ربنا يبارك فيك يا ابني.

- طيب ياللا انزلي عشان مستعجل.

= معلشي يا ابني اعذرني أصلي صحتي على أدي.

تحرر قدميها بصعوبة وتنزل ببطء... تستقبل الرصيف بكلتا يديها... تصعد أعلاه... تمد يدها لتودع صاحب السيارة فلا تجد له أثرًا... تذهب إلى درجات سلم أحد العمارات... تلقي بجسدها عليه... تخفي وجهها بداخل راحتيها... تسترجع الماضي... مات زوجها وتركها مع ولدها الوحيد... تقرر أن تفني عمرها من أجله... لم يكفِ معاشه في صد هجمات الأيام... تقرر العمل... لم يكن أمامها سوى العمل في البيوت... تجرف الأيام سنين عمرها وتنحر في صحتها... تنجح في عبور صعاب

الحياة... يكبر ابنها ويكون له شأن كبير... يتزوج.. تعيش معه في بيت واحد.. تشعر بالوحدة والاحتقار... دائمًا يفضل زوجته وينصرها عليها... لم يمل من معايرتها بالخادمة... ملت الجحود ونكران الجميل.. جال بخاطرها أن تنسى فلم تستطع... بعد تفكير طويل قررت أن تمثل دور المصابة بداء النسيان... هالها ما رأته... كانت مادة للتندر... ألقوها في أحقر حجرات المنزل... لم تعد لها قيمة لديهم.. وفي أحد الأيام قرر ولدها التخلص منها... استغل نسيانها المصطنع... استقل بها سيارته وبعيدًا عن إقامته ألقاها... جلست في مدخل العمارة... تسقط دمعة حارقة على وجنتيها... تنظر إلى الأرض ترى التراب يداس بالأقدام... تقارن بين تضحياتها وبين التراب فتجد أن كلاهما سواء.. بأيدي مرتعشة تلتقط حفنة من تراب الأرض... ترفعها لأعلى.. تتركها... لتذروها الرياح.

●●●

# اللغز

فضول طفولي قادني إلى البيت المجهول... سنوات طوال تخرج منه سيدة في الأربعين من عمرها ولا أرى فيه أحدًا غيرها.. يتبع خروجها أصوات غريبة في المكان... وأحيانًا تضاء الأنوار... اليوم انتهزت خروجها في موعدها اليومي... اقتربت من الباب... فتحته في حذر... يفتح الباب مع إصدار أصوات مخيفة... أتحسس بقدمي المكان فالظلام يخيم على الأرجاء... رائحة العفن تفوح من جميع أركانه... يبدو أن الشمس لم تزره منذ زمن بعيد... الشبابيك مغلقة وقد ظهر على أقفالها الصدأ من سنين... نور ضعيف يلوح من بعيد في نهاية الطرقة... اقتربت في حذر... فتحت الباب فأصدر بدوره أصواتًا زادت الخوف بداخلي... تماسكت بعض الشيء... تلصصت النظر بداخلها على حذر... وجدتها خاوية... بدأت قشعريرة الخوف تنساب في جسدي.. دقات قلبي تتوسل لي بالخروج... فلبيت النداء... التفت عائدًا.. صدرت مني صرخة لا إرادية عندما ظهر فجأة أمامي وجه مخيف... أشار لي بالهدوء وبدأ يقول لي بصوت مبحوح يصدر مع خروجه أصوات مخيفة: من أنت؟... وما جاء بك إلى هنا؟

تلعثم لساني وخرج مني كلام غير مرتب فما كان منه إلا أن أمسك يدي بيده المحترقة كليًا فما كان مني إلا أن سحبتها في عنف... نظر لي بغرابة وتبعها بقوله اتبعني... صار حتى وصل إلى كرسي قديم فأشار لي بالجلوس وقام بإطفاء المصباح فازداد الخوف أكثر وأكثر .

كأنه يقرأ ما بداخلي فلم يترك التساؤلات تتملكني فقال: هكذا أفضل حتى لا ترى وجهي فيصيبك بالاشئمزاز وهذا هو سبب اعتكافي هنا منذ سنوات طوال.

لم أرد بشيء فأتبع قائلاً: منذ سبع سنوات كنت أسير في أحد الشوارع فإذا ببيت به حريق هائل وبه سيدة تصرخ طالبة النجاة... النيران كانت شديدة مما دعا الجميع الخوف من الخوض في إنقاذها... تملكتني الرأفة بها... اقتحمت النيران حتى وصلت إليها... كانت النيران في كل مكان.. لم أشعر إلا بالنيران تشتعل في جسدي.. لم يمنعني اشتعالها من الوصول إليها.. كانت الأخرى مشتعلة... سحبتها وهرولت حتى خرجت.. ازدادت النار بي حتى غبت عن الوعي... استيقظت بعدها بأيام مع آلام قاسية بجميع جسدي كانت تفرض عليَّ الصراخ دومًا فقد كانت الحروق من الدرجة الأولى... خرجت للحياة مسخًا

يهرب منه كل الناس.. نظراتهم كانت تقتلني... الجميع كان يهرب مني... اعتكفت في بيتي... وأيقنت حقيقة واحدة أن شكل الإنسان يؤثر على شخصيته، وأن شخصية الإنسان تؤثر على شكله.... حتى جاءت لي يومًا سيدة قالت لي أني من أنقذها... ألحت عليَّ بالزواج وفي النهاية وافقت على مضض... اشتغلت بحرفة يدوية، أنا أصنع وهي تسوق ما أصنعه وعلى هذا الحال منذ سنين.

اقترب مني في تودد وقال: أرجوك ألا تبلغ أحدًا بما رأيت وما سمعت.

قمت من جلستي ومددت يدي لأصافحه وأتبعتها بالأخرى لتقبض عليها بحرارة... نظر إلي نظرة رضا... خرجت والتساؤلات تزيد الحيرة بداخلي... قادني فضول تطفلي آخر للسؤال عن حادثته... فوصلت لحقيقة هزت كل وجداني... من أنقذها ماتت متأثرة بحروقها ومن تزوجها سيدة أخرى لا تمت لهما بصلة.

●●●

obeikan.com

# تذكرة سفر

قدره كان الترحال... لم تعرف أي أرض بأنها له سبيل... سواء فرض عليه الترحال أم فرضه هو فالنتيجة سواء... كانت البداية في بلدته بحث فيها عن دفء العائلة لكنها كانت نار صراعات عن المال وعن العصبية لم ييأس فبحث عن الأمل في أحضانها فهاله الجهل المتفشي في أرجائها.. حلم باليوم الذي يخرج فيه من البلد الظالم أهلها... فكان التعليم طوق نجاته... وطأت قدمه أرضًا ظن أنها أرض الميعاد... بحث فيها عن الصداقة لتكون سندًا لفكره... تأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن... يغير الزمن من طباع البشر ومن طباعه... ويضاف فشلاً آخر إلى فشله... يأتيه العمل في أرض أخرى تضاف لقاموس ترحاله... بحث فيها عن زمالة عمل تشد من أزره.... تقطع كل الحبال ولا يبقى للود حبل يشد من وثاقه... يجمع ترحاله بحثًا عن شريكة عمره... يجدها في أرض في أقصى وطنه.... يعيش سعيدًا في قصر غرامه... ترحل هي الأخرى مع رحيل روحها... يَئِس من الحياة ومن كثرة البحث عن سعادته... قرر أن يبحث عن تذكرة سفر فالأرض لم تضق به بعد من الترحال... ركب أول طائرة تقلع بدون أن يعرف أين وجهتها... كل ما يريده هو الهروب من واقع لم يستطع

التكيف معه... تقلع الطائرة وبعد ساعة من إقلاعها تهوي من السماء قاصدة قبورهم محطة للوصول... يسمع صدى ضحكات في أرجاء الطائرة يتبعها صوت ساخر ناطقًا: «السعادة موجودة بداخلك وليست في وجوه البشر... اعتمادك عليهم وآمالك فيهم هي سبب تعاستك... ما تنتظره لن يأتيك وما تعرض عنه سيأتي مرغمًا إليك... كان واجب عليك أن تقدم السعادة للآخرين وقتها كنت ستشعر بالسعادة بداخل نفسك... ما فعلته أنك بحثت عنها لنفسك لهذا دومًا كانت معرضة عنك.. لقد وطأت من الأرض الكثير وحان لجسدك أن يهنأ بالسكون... ارقد بسلام في قبرك وأهلاً بك في زمن الخلود».

●●●

obeikan.com

# الصعود إلى الأعماق

اعتزلت عالمها خشية من تجربة الانصهار فيه... انعزلت داخل صدفتها معتبرة أنها بوحدتها كاللؤلؤ نفيس الجوهر والمعنى... راودتها فكرة الخروج لتجرب الاختلاط بهذا العالم الذي كثيرًا ما ترددت في التعايش معه... لكن كثيرًا ما تلاشت تلك الفكرة عنها.

اقتربت سمكة أخرى منها حدثتها من خارج الصدفة: مكانك ليس هنا... طبيعتك لم تخلق لهذا.

أجابتها من الداخل: وأي شيء كتب علينا اختياره؟ يا عزيزتي الحياة بالنسبة لنا كالطوفان تسيرنا كيف تشاء.

أتاها التساؤل من الخارج: وأي إجبار فرضته عليك الحياة؟ لما لا تخرجين للعالم تتمتعين بجماله وتتسامرين بعلاقاته وتتنسمين هواء حريته؟

أجابت: عن أي عالم تتحدث؟... تقصدين عالمكم... إني من هنا أرى كل سلبياته... دينكم تجارة تعرض لشراء الإرادة... علمكم بضاعة يطلب به الإشادة... أخلاقكم راية تنكس لأول غاية... حبكم رواية تحكى فقط للخداعة... إخلاصكم فاني إلا للنفس والأماني... كذبكم صدق طالما وافق التمني..

قاطعتها قائلة: لما كل هذا التشاؤم؟ إنك تنظرين للعالم من جهة سوداوية وتتركين جانبه الأفضل.

فتحت طريق الصدفة قليلاً وأجابت: تشاؤمي يشاركني فيه أغلب أهل الأرض.. أعدادنا تزداد بالمليارات ولازلنا نعاني الوحدة... علاقتنا بالآلاف ولازلنا لا نجد الأصدق... ترف الحياة ازداد ولازلنا نشتكي من المعاناة.

ابتسمت ابتسامة أمل وقالت: سأخرجك من هذا السجن وسأظهر لك جمال الحياة من الخارج.

ضحكت بسخرية وقالت: لا تحاولين فما عزلتي بداخل صدفتي إلا بتجارب تشبه تجربتك تلك... لقد حاولت أن أبيض الحياة في وجوه أخرين فما كانت النتيجة أن انتهى بي اليأس في مكاني هذا.

تملكتها الحيرة وتساءلت: أليس هناك أمل لتشاركيننا هذا العالم؟

أجابت بالنفي: عالمكم لا يعنيني سأتمسك بوحدتي.. سأسكن صدفتي... عيشوا عالمكم كما تريدون فمهما وسع فهو ضيق عليكم... وسأعيش عالمي فصدفتي رحباء أوسع من عالمكم... عودي إلى عالمك واحذري خطاكي حتى لا تتعثر قدماكي في ضحايا هذا العصر.

# أربع مشاهد مع ستار النهاية

**المشهد الأول:**

تشير الساعة الآن لمنتصف النهار وهو موعد المحاضرة الثانية لهذا العام.... دخول هادئ لمنصة المدرج... كلمات أعلن بها بدء المحاضرة.... بعض الوجوه الجديدة لم تتعود النظام بعد... همهمات لأحاديث تدور بينهم... تحذيرات بالهدوء... تأتي استجابات لا تلبي الهدوء المطلوب.... يأتي العقاب على الجميع.... الآن موعد الامتحان... تأتي التظلمات وطلب التأجيل... لكن يأتي الجواب قاسيًا لا تأجيل... يخرج كل منهم ورقة يكتب فيها اسمه ويبدأون في حل الامتحان.... يأتي موعد تسليم الأجوبة.... استلمت الأوراق... أراجع الأسماء... يأتي وسط الأسماء ملاك عبد المسيح... أنظر في ورقته أجدها من أجندة كتب أعلى صفحاتها بنك فيصل الإسلامي.

**المشهد الثاني:**

تنتهي فترة الجامعة... لنبدأ مرحلة قاسية في تأدية الخدمة العسكرية.... نودع كل صداقاتنا وكل الأهل لنبدأ مرحلة جديدة مع أناس لا نعرف أيًا منهم.... كانت تلك أول مرة أختلط فيها

بأي ديانة أخرى... تشاء الأقدار أن يكون أحد المقربين إليَّ رضا عادل حبيب.... يأتي موعد صلاة العشاء في أحد الأيام عندما كنا جالسين سويًا في مشاهدة أحد البرامج في الكانتين..... يأتيني الصوت بجانبي أن أقوم للصلاة... أجدها قد جاءت من رضا.... بعدها بأيام أذهب للمسجد لأداء بعض الصلوات... أجد المياه مقطوعة لأتوضأ من المياه المخزنة لديَّ.... أقوم بصب المياه على أعضاء الوضوء لأتوضأ.... يمر عليَّ شخص فيطلب مني أن يساعدني في صب المياه عليَّ لأتوضأ... أنظر فإذا به رضا.

**المشهد الثالث:**

كنا اثنين وهما أيضًا اثنان لم تجمعنا الصدفة من قبل... جلسنا نتسامر لحين مجيء موعد غدائنا في ميس الوحدة العسكرية الملحقين بها... جاء موعد صلاة الظهر... استأذنت من الجلسة لأقوم لصلاتي... شرعت في الوقوف للصلاة على الرمال... ناداني أحدهم بالانتظار... قام بفرش غطاء فراشه لأصلي عليه... منعته بأنني لن أقبل حتى لو كان هذا غطائي... أصر وأطال في الإصرار... أتممت صلاتي.... ولما انتهى اللقاء قمنا بالوداع... مددت يدي بالتسليم عليهما.... ظهرت العلامة على يده لتخبرني بأنه مسيحي.

**المشهد الرابع:**

دعوة بالزيارة من أحد أصدقائي حديثي الزواج... استقل السيارة إلى مدينة السنبلاوين.... أدخل لأحد مكتبات بيع الهدايا.... أبحث على الأرفف عن هديتي... أجد نفسي وسط محل لأحد المصريين حاملي الديانة المسيحية... أنقل نظري على الأرفف أجد شرائط للشيخ الشعراوي وصور لآيات قرأنية... أشتري هديتي وأخرج تاركًا ورائي مكانًا لن أراه مرة أخرى في حياتي.

**ستار النهاية:**

برامج التلفاز تعلن عن فتنة طائفية في إحدى القرى.... أمسك بالجريدة لتعلن بأن مصر تدخل على كارثة وأن التعايش السلمي بين المصريين قد انتهى..... يأتي صوت التليفون بجانبي... أتحدث للطرف الأخر فأجد رضا صاحب المشهد الثاني ليهنئني بشهر رمضان... أغلق الهاتف وأغلق معه التلفاز بعد أن علمت أنه يتحدث عن شعب أخر غير شعب مصر.

●●●

obeikan.com

# غريق في أعماق النيران

- ليه حضن الوطن دايمًا علينا قاسي.. ليه دايمًا بيطردنا براه... احنا عمرنا كله فداه لكنه دايمًا كارهنا... بنقرب ليه وهو دايمًا بيهرب مننا... بنديه أحلامنا وهو بيخطف مننا زهرة عمرنا.

- سنين كتيرة تعبت من عدها عشتها في غربتي... وليالي طويلة أطول من ليل الشتا الحزين فكرت كتير فيها إني أدلّى على بلدي وأشوف الولد اللي مشوفتوش من يوم ما ادلّى للدنيا... حتى شكله مخبرشي كيفه يكون... صحيح ولد حسنين صوره تصويرة بالموبايل وبعتهالي على البتاع ده اللي اسمه نت لكن كيفها تكون التصويرة من ملايين التصاوير المفيهاش روح وبتعذب أكتر ما بتبل ريج... أوقات كتيرة كنت بلعن الغربة واللي عايشينها... لكن كنت برجع وأجول مقداميش غيرها... صحيح أنا دلوق معايا من الفلوسات الكتير وأقدر أشتريله من الطين اللي يرفع راسه في البلد كلاتها.. لكن تعمل إيه الفلوس في سنين عمري اللي راحت وشبابي اللي ضاع... هو يعني الفلوسات تجدر ترجع شبابي اللي راح... ملعون أبو الغربة اللي بتاخد منينا عمرنا وأهلينا.

- دلوقتي بس يا «أم أحمد» أقدر أفخر بنفسي وحاسس إني ليا قيمة في الدنيا... أدينا راجعين لمصر ومعانا كل اللي جمعناه في الغربة ومعانا «أحمد» و«صفاء» من دلوقتي نقدر نعلمهم تعليم كويس ونأمن ليهم حياة كريمة أحسن من سنين العذاب اللي شوفناها في بلدنا.

- إيه قيمة الفلوس واحنا راجعين اتنين بس... صحيح احنا جايين هنا اتنين... لكن راجعين اتنين تانيين... كنت جاية البلد دي أنا وجوزي في إعارة لكنه مات في حادثة ودلوقتي راجعة بابني ابن الثلاثة شهور وهو حتة لحمة حمرا... صحيح راجعة ومعايا فلوس إعارتي وإعارته وعليها كمان دية جوزي... لكن إيش تكون الفلوس قصاد سند زوج راح ومسئولية أب وحنانه لابني اللي عمره ما هيشوفه تاني... يا ترى لو حال البلد كان أحسن مكناش سافرنا وكان زمان جوزي معانا ثالثنا... أستغفر الله العظيم... لله الأمر من قبل ومن بعد.

في سكون الليل وهياج أمواج البحر وصوت أنين العبارة التي تعلن أنها ليست بحالة جيدة عاش كل من الركاب مع ذكرياته شاردًا بها في أحضان البحر الذي لا يرحم... كل منهم يعيش مع حلمه القادم ويسترجع ماضيه المؤلم.

يقطع تفكيرهم حركة غريبة بالعبارة... تتوقف فجأة مع خروج سحب من الدخان من أسفلها... حركة هيستيرية من عمال العبارة على سطحها تزرع الفزع في قلوب الركاب... يتساءل الركاب ما الأمر يأتي الجواب بأن لا داعي للإزعاج... يرتفع صراخ السيدات يتبعها بكاء الأطفال... يسرع الجميع إلى السطح على أمل أن يظفر بوسيلة للنجاة... تعساء الحظ لم يسمعوا بشيء غارقين في نوم عميق بداخل غرفهم... تترنح السفينة يسارًا مع ظهور اللهب الأصفر أسفلها... يزداد الصراخ طالبين أطواقًا للنجاة... لا تأتي الإجابة... يبحث الجميع عن طوق للنجاة لعل وعسى أن يكون للعمر بقية... يجد «فتحي» وزوجته طوقين فقط يربطاهما على وسط ولدهما وابنتهما الصغيرين ويربطان حبلاً بينهما.. يمسك «فتحي» بكتفي ابنه: خلي بالك يا أحمد من أختك أنت من دلوقتي راجلها حافظ عليها. يهزه بعنف مردفًا: متعيطش أنت من دلوقتي راجل أجمد وخلي بالك من أختك.

مع نداء ولده وابنته: ما تسيبناش يا بابا... أنا خايفة يا بابا... مش عايزة أموت يا ماما.

يغمض عينيه ويقذفهما في المياه.

تتمكن «سيدة» من إيجاد طوق نجاتها ترتديه وتحتضن وليدها تقذف نفسها في المياه حاضنة إياه... تشعر ببرودة المياه... تتسمع لصوت وليدها تجده كف عن الصراخ... تقلبه تجده قد مات... تصرخ بأعلى صوتها... تحتضنه تبكي سنين عمرها... تقرر ألا تتخلى عنه تربطه في حبل طوق نجاتها لعلها تجد له قبرًا تزوره... فيكفي أن ليس لزوجها قبر في وطنها. يجد «محمد الصعيدي» طوقًا واحدًا.. يجد سيدة مسنة عاجزة عن الحركة... يقترب منها معطيها إياه: خدي ده يا أماي تلحقي بيه نفسك.

ترفض بشدة: لا يا ابني أعمل بيه إيه أنا كده أيامي في الدنيا معدودة... أنت أولى بيه.. لسه الدنيا قدامك.

يرفض بشدة: عليَّ الطلاج محدش لابسه غيرك.

يلبسها الطوق بعنف وهي تقاوم بشدة إلى أن ينجح ويرفعها بيديه راميًا بها بعيدًا في المياه.

يتسارع الجميع على أطواق النجاة حتى تترنح السفينة بعد أن اشتعل اللهب بها... يسمع البعض صراخ من بداخل العبارة مع صوت شواء لحمهم في النيران.

يبتلعها البحر رويداً رويداً... تختفي بداخله محدثة دوامة هائلة تغرق معها من يغرق وتقذف الآخرين بعيداً عنها بأمتار.... بعد ليل طويل يطلع الصباح، ويعود الهدوء.. ولكنه هدوء برائحة الموت.. ينظر «أحمد» إلى أخته صفاء يجدها لا تحرك ساكنًا يهزها يجدها قد فارقت الحياة... رحلت هي الأخرى بعد رحيل أبويه ليجد نفسه فجأة بلا عائلة.

تسحب «سيدة» الحبل الغارق في المياه لتطمئن على جثة وليدها... تسحبه رويداً رويداً لتصل لنهايته... يأتي في النهاية خاويًا عائداً بخيبة الرجاء.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

# الموت... رصاصة الرحمة

مع أذان الفجر تنهض من نومها لتلحق بعملها الذي تمارسه منذ عشرة أعوام بعد وفاة زوجها الذي تركها مع خمسة من الأبناء ترعاهم وحدها... لكنها اليوم تنهض وكلها أمل فقد حان موعد تخرج ابنها الأكبر والأمل كبير أن يحمل عن كاهلها هذا الهم الكبير... تتحسس جيبها فتضل يدها الطريق... تظل تبحث حتى تجد زوجًا من الجنيهات... ترتسم ابتسامة رضا على شفتيها فها هي قد وجدت طعام الإفطار لأولادها... اعتادت يوميًا أن تصحو مبكرًا لتلحق لها دورًا في طابور الفرن البلدي بمنطقتها منطقة الدويقة لتفوز بخبز أقل ما يوصف بطبيعته أنه أدمي... تنتهي صلاة الفجر وتشرق الشمس ويمر من الوقت ساعات حتى يأتي الوقت الذي تفوز به بعشرة أزواج من الخبز... ترتسم ابتسامة صافية على شفتيها المظلمة من الأسنان... تشتم رائحته بنهم... تأخذ نفسًا عميقًا مغمضة عينها لتتلذذ برائحته التي تثير الجوع بداخلها... يرقص قلبها فرحًا بغنيمتها فها هي قد جاءت بطعام أولادها... يقابلها بائع الفول الذي اعتادت منه دومًا على الشراء... تبتاع منه كيسًا بنصف جنيه... ها هي قد اكتملت وليمة الإفطار ولا ينقص سوى أن يجتمع حوله الأحباب...

تقترب من منزلها... تسمع صوت طرقعة عالية ثم صوت سقوط صخور يتبعه غبار كثيف... ترتفع الصرخات... تمتلئ الشوارع من الهاربين من الموت... تتساءل عما يجري... يأتي الجواب بأن صخرة قد سقطت من الجبل تدك البيوت ولا يوقفها شيء... تلقي الخبز أرضًا... يقع قلبها خوفًا... تسرع في اتجاه بيتها... يا لهول الصاعقة فأولادها جميعهم نائمون... تضرب بيدها على صدرها «استرها يا رب هما كل رصيدي في الدنيا» تتقدم في اتجاههم.. تتعثر في أناس هاربون من الموقف... يوقفها أحدهم «أنتي رايحة فين دي الصخور بتقع في كل مكان»... تزيحه بعنف جانبًا وتواصل سيرها... تقترب من سكنها.... تسقط أرضًا على ركبتيها... فقد هالها ما رأته.... بيت يقع تحت صخرة عالية... يتملكها الجنون... تصرخ بهستيريا منادية على كل أولادها... لا يأتيها النداء... فجميعهم أصبحوا أمواتًا... عذرًا لقد أصبحوا أمواتًا للمرة الثانية... فهم من قبل لم يحيوا حياة البشر... بل كانوا أحياء على ذمة الموت.

●●●

# رحلة الموت

الكل يجلس في تكاسل وقد افترشوا أرضية محطة القطار... فلقد طال انتظاره لمدة ساعات... تأتي البشرى بخروج القطار من المخزن قادمًا لرصيف ٨ بمحطة مصر... تدب الطاقة في أرجلهم ويسري جزء من الأمل إلى قلوبهم... تقف بعض السيدات حاملة متاعها على رأسها وعلى يدها وليدها الصغير... وأخر يحمل حقيبتين إحداهما على كتفه والأخرى بيده الأخرى... وأخر يحمل الحقائب لصاحبه وقد جاء ليودعه... وأب أخر يمسك بيد ابنته متحفزًا لوصول القطار... الكل يشمر عن ساعده ليظفر بمقعد بالقطار قبل أن يقف بالمحطة فطريق السفر طويل يتعدى العشر ساعات ولابد من إيجاد كرسي يريحه من عناء السفر... يقترب القطار من الرصيف... الكل يهرول في اتجاهه قبل أن يصل... صراع لا يكسب فيه إلا الأقوى والأسرع والأكثر خبرة في كيفية الغنيمة بمقعد به... يتزاحم الكثير على الباب وينجح البعض في الوصول لهدفه... تتعثر إحدى السيدات على الأرض يساعدها البعض في النهوض لكنه يخسر السباق إلى القطار... يتوقف القطار بالمحطة... ذوو البنية الضعيفة يدخلون بعد الجميع... ينظرون إلى العربات وقد ازدحمت تمامًا بما فيها

الطرقات... يتنحون جانبًا بالقطار يتركون أجسادهم لتستقر بأرضية العربة... بعض الشباب يأخذ لنفسه مجلسًا أعلى أرفف حقائب السفر... بعض العجائز من الرجال يتخلى عن كبريائه ويفترش الأرض أسفل المقاعد تحت أرجل الركاب ليقضي طريقه نائمًا... أصحاب البنية الأقوى ومن يتملكهم الحياء يكملون طريقهم واقفين في الطرقات... يتوقف القطار بالمحطة لساعة أخرى قبل أن يدق جرس المحطة معلنًا قيام القطار متجهًا لمحافظات الصعيد... حركة القطار تكسر جزءًا من الملل بداخلهم فها هم ذاهبون لذويهم لقضاء عيد الأضحى وسط الأحباب تلك الزيارة التي تتكرر مرة في العام لطول الطريق ومشقة السفر... الكل نزح للقاهرة للبحث عن العيش بعد أن يَئِسوا عن إيجاده في ديارهم... تكثر حالة من الفوضى بداخل القطار ناتجة عن الباعة الجائلين... البعض يسامر طريقه بالحديث عن رفيقه في السفر حتى وإن لم تكن به سابق معرفة... البعض يقتل الوقت بتصفح الجرائد... والبعض يقضي الطريق نائمًا... البعض الأخر يختلس الأنظار من شباك القطار ليرى ليل أسود خارجه لا يختلف كثيرًا عن حياتهم... نصف الركاب ذهب في نوم عميق والبعض الأخر يداعب النوم جفونهم... وفجأة تحدث حالة من البلبلة والفوضى... طوفان من البشر يأتي من مقدمة القطار

مسرعًا للخلف يتبعهم ألسنة من اللهب... ترتفع الصرخات وبكاء الأطفال... يداس البعض تحت الأقدام... يحاول البعض فتح شبابيك القطار ولكن بلا فائدة... البعض يحاول القفز من الباب مع حركة القطار ولكن الخوف يمنعه... هناك من غلبه الخوف من النار على الخوف من القفز خارجًا فأطلق لنفسه الحرية ليقفز خارجًا فيرتطم بأرضية القضبان فيموت... بعض النساء لا تملك القوة الكافية للهروب تحتضن ابنها بعد أن أغمضت عينها بقوة... بعض الرجال يحرر ابنه من فتحة الشباك ليرميه خارجًا... تسبق النار الجميع... تشتعل النيران بالأجساد... يلتوي البعض صارخًا... والبعض يتحرك بهيستريا... تتحول العربات لكتلة من اللهب... تشتعل لساعات... تنصهر الأجساد ببعضها.. ليتحولوا إلى أجساد واحدة... يلتحموا ببعضهم لا فرق بينهم كما التحموا من قبل رحلة المعاناة... رحلة مواطنون بلا وطن... وطن قسا عليهم في الحياة والممات.

●●●

obeikan.com

# بين أنياب الماضي

بين ضباب صنعته الحياة وآخر من صنع الطبيعة تشق العربة الطريق على غير هدى تاركة القدر يسيرها كيف يشاء... تشق المجهول إلى محطة وصول لم تتحدد بعد... يداعب النوم عيني السائق فيطارده في تكاسل... يستعيد نشاطه فجأة مع ظهور إشارة لأحد أمناء الشرطة من بعيد يقترب رويدًا رويدًا مع حركة العربة ليشير لها بالتوقف... يهدئ السائق من سرعته... يفتح شباك العربة ليقابله سؤال الشرطي: رخصك وفتح دماغك؟ يعطيه السائق الرخصة فيتفحصها على عجل ويتبعها بقوله: مفتحتش دماغك.. شكل الرخص هتتسحب منك... اتفضل انزل ورِيني طولك؟

يتوسل إليه الركاب بأنهم جميعًا على عجل فيزداد إلحاحًا في طلبه... لا يقطع الجدال سوى نزول رجل تعدى الستين من عمره مع إعطاء ورقة فئة الخمسة جنيهات وضعها في جيب الشرطي... يكمل السائق طريقه مع لعنات يصبها عليه. يعود الهدوء مرة أخرى لا يقطعه سوى بكاء الرجل العجوز... تملأ الدهشة العربة وتنطلق عبارات السخرية من شباب حديثي السن: ده بيعيط على الخمسة جنيه يا عم خد عشرين غيرها واسكت.

وأخر: هو ميعرفشي إن الخمسة جنيه ما بقتشي تجيب حاجة هو لسه عايش في زمن التعريفة شكله.

يتبرع أحد الرجال موبخًا: جيل غير مسئول وغير محترم... عيال ما اتربتش... كل عيل لسه أمه بتطعمه يحط لسانه جوه بقه وينكتم.

يأتي الجواب قاطعًا من السائق: يا أبويا الخمسة جنيه دي عندي واخصمها من الأجرة ولا تزعلشي نفسك.

يقاطعهم العجوز جميعًا: أنا مش ببكي على الفلوس أنا ببكي على أمين الشرطة.

تحتل الدهشة وجوه الركاب مع صمت طويل فيكمل كلامه قائلاً: متستغربوش أنا كنت في سنه زمان وكنت بعمل زيه وكنت برجع كل يوم لمراتي بعشرين جنيه بحالهم وأرميهم في حجرها. يتنهد قليلاً ويردف قائلاً: ساعتها العشرين جنيه كانت ليها قيمة كبيرة... وكنت كل ما أحوش تمن فدان أرض أجري وأشتريه... الفلوس طمعتني وخلتني أخد فلوس كتير من أصحاب العربيات غصب عنهم... عملت ثروة وبقى عندي أرض كتير . يصمت قليلاً مع بكاء شديد هز قلوبهم... تمالك نفسه ومسح دمعته وأتبع قائلاً: في يوم رجعت من الشغل لقيت لمة كبيرة

عند بيتي ساعتها قلبي وجع في رجلي جريت بصيت لقيت بيتي وقع على مراتي وابني الوحيد... كلهم ماتوا وسابوني لوحدي. تلفت لجميع الركاب وصاح قائلاً: يا ريتهم عاشوا ومت أنا... راحوا بذنب عملته بإيديا... عملتلي إيه الفلوس... تقدر ترجعلي مراتي وابني... عملي إيه الظلم اللي جنيته... عايش بنار جوايا عمرها أكتر من تلاتين سنة... نار عايشها في الدنيا ليل ونهار... ونار تانية مستنياني في الأخرة... عايش دلوقتي وحيد مع فلوسي اللي جمعتها من حرام... عرفتوا دلوقتي ليه أنا ببكي على الظابط ده؟؟... عشان شايف مستقبله في الماضي بتاعي.. شايف سنين سودة مستنياه وهو مش داري بيها.

يعود الصمت مرة أخرى للعربة مع دموع للبعض متأثرًا... يظهر من بعيد كمين أخر مع أمين شرطة جديد قائلاً: رخصك وفتح دماغك معايا؟

يتبادل الركاب النظرات مع حركة جماعية يخرج بها الجميع ورقات من فئة الخمسة جنيهات.

●●●

obeikan.com

# صوت من الماضي

لا يسترق لهم سمعًا... يتملك الشرود ذهنه... صدمة وفاة والده لم تتركه بعد... تعجز يداه أن تمتد لتستقبل المشيعين... تقف الدموع في عينيه لكنها تأبى الوداع... أصوات ضربات الفئوس تشق جو الصمت... يتسمر الرجال في أماكنهم انتظارًا لانتهاء الدفن... بعض الصبية يلهون فوق القبور فيأتيهم النهر من بعض الرجال... بعض الحشرات تسري على أرجل المشيعين فتجبرهم على إبعادها بعنف... يشق الصمت أصوات حركة أغصان الأشجار بفعل الرياح فتذرو ترابًا ناعمًا في الوجوه... يتسبب العرق مع الغبار في تأفف بعض عاشقي الأناقة... يأتي من بعيد عويل بعض النساء ليضفي على المكان جوًا دراميًا... بعض المتسولين يشقون الصفوف... ينتهي الرجال من فتح القبر فتمتد بعض الأيادي لرفع الجثمان... بعض المتطفلين يسترقون النظر من بعيد لعلهم يغنمون برؤية المشهد كاملاً... تمتد الأيادي لرفع الجثمان وأيادي المقربين ترفع ستارًا يواريها عن الأنظار... يسلمونه للحانوتي فتنطلق معها مشاعر البكاء... تنطلق أيادي المواساة لتربت على كتف المكلومين... مع صوت الفئوس المتوالية يسقط ولد المتوفى أرضًا ويترك نفسه للبكاء... يسترجع ذكرياته

مع والده فيخيم الظلام على المكان... يجد نفسه جالسًا في القبر وبجانبه رجلان... يسأله لماذا نأتي كل عام في هذا التوقيت ولم ليلة العيد ذاتها وليس غيرها... فيجيبه: تعودنا مشاركتهم الأعياد وهم أحياء فنأتي لنؤنس لهم وحشتهم لنؤكد لهم وفاءنا.

يسأله وهو يتلفت يمينًا ويسارًا: ألا تخاف من القبور في هذا الظلام الحالك؟

يشير خلفه ويقول: يجب أن تخاف من هؤلاء.

يتملكه الخوف وينظر خلفه فلا يرى شيئًا فيهز كتفه متسائلاً فيأتيه الجواب سريعًا: أقصد الأحياء الساكنون هناك.. فالأموات لا يُهابون، الأحياء دائمًا يؤذون البشر أحياءً وأمواتًا، أما الأموات فلا يعنيهم سوى أمرهم، هدوء المقابر لن تجده في أفخم قصور الأرض، والوحدة هنا أغلى من معرفة ملايين البشر، لن تصدقني إذا قلت لك أشعر بالراحة كلما جئت إلى هنا وخصوصًا في الظلام؛ لذلك منذ سنين أحافظ على زيارتهم ليلة كل عيد لأتحسس ترابها وأتساءل من يكون صاحب هذا التراب هل كان يعلم يومًا أنه سيداس بالأقدام؟

يسأله بصوت خافت: من هذا الذي يجلس بجوارنا؟

فيجيبه بابتسامة باهتة وهو يقترب منه: إنه أبي .

ثم يقترب منه أكثر وأكثر ويقول: ألا تعرفه إنه جدك؟

●●●

obeikan.com

obeikan.com

# الطوفان

خرج مفزوعًا من حجرته فقابلته والدته في فناء المنزل فحدثها متسائلاً: ما هذا الضجيج بالخارج؟

الأم: إنهم إخوتك يريدون اقتحام البيت.

الابن: ولِمَ يريدون اقتحامه ما دام البيت ملك لنا جميعًا؟

الأم: إنهم يريدونه لهم بمفردهم.

الابن: أو هم مجتمعين على ذلك؟

الأم: لكل منهم غرضه وكلهم أطياف وكل طيف ضد الأخر ولكنهم اجتمعوا على خراب البيت.

الابن: ولكني أسمعهم يهتفون باسمك.

الأم: أرسل سمعك جيدًا إليهم واتركه يخبرك بما يهتفون.

الابن : إني أرى هتافات مختلفة منها ما هو باسم الدين ومنها ما هو باسم المسيح ومنها ما هو باسم الديمقراطية، لكن في النهاية يهتفون باسمك.

الأم: في النهاية هم يبحثون عن مصلحتهم ومصلحة أحزابهم، أما مصلحتي فهي أخر ما يبحثون عنه، فقط هم يتخفون وراء حبي للوصول لأغراضهم.

الابن: وما الحل؟

الأم: الحل في يدك أنت، يجب أن تخرج لنصرتي.

الابن: وماذا فعل إخوتي؟ ضحوا بدمائهم فضاعت هدرًا.

الأم: لم تضع ولكنها أعطتني حريتي.

الابن: عن أي حرية تتحدثين؟ انظري إلى يداكي فلقد انتقل القيد من إحدى معصميكي إلى المعصم الأخر.

الأم: لكل تضحية ثمنها ونتيجة التضحية تأتي بعد تأني.

الابن: ستظلين في صمتك هكذا حتى يقتحمون بيتك... دعيهم فهم يأجوجك ومأجوجك سيظلون هكذا يحاولون اقتحامك وإن فشلوا اليوم سينجحون غدًا وقتها سيقضون على الأخضر واليابس.

الأم: ها هو حصاني انهض وانصرني.

الابن: أين أنا وعرابي؟

الأم: فهاك سيفي زُدْ به عني.

الابن: أين أنا وصلاح الدين؟

الأم: ومن ناصري إذًا؟

الابن: لن تجدي ناصرًا فمجدكي قد أضعتيه... عندما كان العالم يرقص لكي طربًا واليوم أنتي في كل ناد ترقصين.

الأم: فمن منقذي إذًا من الطوفان؟

الابن: لقد ضاع زمن نوح لتجدي سفينته.

الأم: سأجد في أبنائي من يخلصني.

الابن: لقد انقضى زمن المسيح.

الأم: سلبيتك هي من أضاعتني... لكن بالتأكيد سأجد في أبنائي من يزود عني ويسترد لي مجدي وعزتي... فغدًا سيعود نجمي للصعود في سماء العالم وساعتها سترقص أنت والعالم لمجدي الذي لا يغيب.

●●●

obeikan.com

# سراب من نار

- ما عليك سوى أن تصوب البندقية في اتجاه الهدف.

ثم أمسك بيد صديقه اليسرى ووضعها في منتصف البندقية وأردف قائلاً: وبعد ذلك تجعل سن نملة الدبانة ودائرة التنشين والهدف على خط واحد.

ثم ربت على كتفه وقال: فلنجرب الآن.

مع انتهاء الجملة الأخيرة استدار صديقه نصف دائرة وصوب السلاح إلى صدره.

صاح في وجهه فزعًا: ماذا تفعل أيها المجنون؟

ابتسم ابتسامة ماكرة وقال: أنت هدفي الأول... كثيرًا ما انتظرت تلك اللحظة منذ زمن... كانت مشكلتي أني لا أجيد التصويب.. فانتظرت اللحظة لتعلمني فيها التهديف... وها قد جاءت... فهنيئًا لي بغنيمة أتعبتني من سنين. أشاح بكلتا راحتيه ممانعًا: لا تفعل... لا أريد أن تكون نهايتي على يد أعز أصدقائي.

ضحك ضحكة انتشر صداها في المكان وقال: ومن قال لك ذلك.. إنها لي غاية المنى.

تراجع للخلف غير مصدق وقال وهو يهز رأسه متأسفًا: ماذا فعلت لك... لقد قدمت إليك الكثير... لم أتركك في محنة من قبل... الدمعة التي كانت تصيبك كانت تقطع قلبي من قبلك... وعندما كبلتك الحياة كانت يدي تدمى من أجلك... من ليالٍ طوال لم أنم حزنًا على هم أصابك... لِمَ تغيرت هكذا؟

اقترب منه ببطء وأضاف: كل هذا يكفي لأن يزرع الكره بداخلي... لم تترك لي شيئًا أفعله... كنت أنت دومًا الأفضل وأنت دومًا ما تفعل المستحيل من أجلي... أحسستني بالدنيوية بفعلتك تلك فلم تترك لي سبيلاً بأن أظهر قيمتي... ولم تترك لي يومًا لأضحي فيه من أجلك... كنت أنانيًا استحوذت على الكمال وتركت لي دور المتسول لتضحياتك.

وضع يده جانبًا وقال: لا أصدق أذني ولا أعقل ما تقوله... أهذه هي النهاية... لم أنتظر منك الشكر يومًا... فتأتي اليوم لتحول الجمال إلى قبح... والاهتمام إلى استحواذ... كيف لك بأن تشبه إيثاري لك ورفع شأنك بتحقيري لك... لا أصدق.. أي نوع أنت من البشر؟

سكت برهة من الوقت وقال: لست نوعًا من البشر بل أنا ككل البشر ولكنك كنت أعمى القلب لا ترى ما حولك.

أغمض عينيه لحظات كأنه يسترجع الماضي ثم قال: الآن تذكرت... فعلاتك كانت تدل على دناءة أخلاقك لكنني كنت دومًا أكذب نفسي وأقول أنها وساوس شيطان للوقيعة بيني وبين صديقي... حبي لك أعماني... حبي لك قادني لهلاكي... لم أكن أعلم أن هناك أصدقاء بنوعيتك تلك.

عاد لابتسامته الخبيثة مرة أخرى وقال: هذه إضافة أخرى لغبائك... ألم يخبرك أحد ببروتس صديق يوليوس قيصر... ألم يخبرك أحد بمهران وقصته بأدهم الشرقاوي... وإياك وأن تكون قد نسيت شيخ إسماعيل صديق شيخ العرب.... وغيرهم الكثير... أتبخل عليَّ أن أضاف لقائمة هؤلاء؟

تنهد بحزن وقال: أهؤلاء قدوتك.. لِمَ لم تتعلم من الصديق أبو بكر صداقته ومن هارون أخو موسى رفقته... يبدو أن جزاء سينمار كان في انتظاري.

سحب أجزاء سلاحه ثم تراجع خطوة للخلف وهو يقول: اختر أي هدف أصوبه تجاهك؟

اقترب منه ثم أمسك بفوهة البندقية ووضعها على قلبه وقال: اجعل هذا هدفك كما كنت أنت هدفه من قبل.

تنطلق الطلقة مع صوت عال يسمع صداه في أرجاء المكان فيغيب بعدها عن الوعي.

بعد غيبوبة دامت لأيام يستعيد وعيه بداخل إحدى المستشفيات يأتيه السؤال من أنت؟

يشيح بوجهه بعيدًا فتسقط دمعة من عينيه بعد أن رآى البندقية مستندة على أحد الحوائط فيجيب ببطء: أنا شخص كان له صديق وبندقية... ذهب الصديق ولم يبقَ لي سوى البندقية.

●●●

obeikan.com

# قطار الصعيد

يتلوى كالثعبان مطلقًا صفارته معلنًا دخوله الرصيف انتظارًا للرحيل.... يراه الرُحَل قادمًا من بعيد فيشمروا عن سواعدهم.... رافعين شعار «إذًا فهي الحرب»... يتسابق الرجال والنساء على حد سواء... الكل يتسابق في الغنيمة بمقعد يغنيه عن الوقوف طوال رحلة شاقة تتجاوز العشر ساعات.... يهرول البعض مع دخول القطار ويمسك بأضلاع باب العربة... تتسارع خطواته مع سرعة القطار وعندما تتزن القوتان يرمي نفسه داخل القطار.... كأن بداخل كل إنسان قوانين الفيزياء.... تسرع السيدات حاملات فوق رأسها حقيبة وعلى ذراعها وليدها... تتعثر إحداهن فلا يلقي لها أحد بالاً... الكل يهمه أمره... الكل يريد الفوز بعرش رحلته.... يقف القطار على الرصيف.... ومعه يتصارع الركاب على الدخول... البعض يحاول التسلل من شباك العربات.. والبعض الأخر يتسابق للجلوس على كرسي والحجز بحقيبة متاعه على الكرسي الأخر... البعض يفوز والأغلبية تخسر الغنيمة.... تكثر المعارك على أسبقية الجلوس كأنه كرسي العرش... والغلبة في النهاية لصاحب النفس الطويل والصوت العالي.... تتملك الحسرة ممن لم يفوزوا بشيء من تلك المعركة... تترقرق الدمعة في عيونهم

لكنهم يحاولون تجميدها حياءً.... لم يعد لديهم سوى البحث عن مكان يستطيعون الوقوف فيه حتى نهاية الرحلة... البعض يتخلى عن كبريائه ويفترش جسده أسفل المقاعد تحت أرجل الركاب... هناك من هم أكثر منهم حظًا ممن فازوا بالجلوس على رف حقائب السفر... يتوقف القطار بالرصيف لأكثر من ساعة كفيلة للسفر لإحدى محافظات الوجه البحري... تتثاقل الأرجل من الوقوف فيطلقون لأجسادهم الراحة على أرضية القطار... يشق جو الملل صوت الباعة الجائلين.... بعد انتهاء الساعة ينطلق القطار... يزحف ببطء ويمر الوقت كأنه محلك سر.... تتسارع عجلات القطار معلنة العد التنازلي للوصول.... ينظر أحد الركاب من شباك عربة القطار فيرى ظلامًا حالكًا بالخارج... ينقل نظره إلى الداخل فيرى تراجيديا حية على الواقع.. تراجيديا مستمرة على أهل الصعيد منذ ألاف السنين.... تراجيديا أبت أن تسدل الستار عن مشهد النهاية لتلك المعاناة.

●●●

# أدمنت البكاء

قدري ألا تفارق الدموع مقلتي... يأبى الحزن أن يهجرني... يعتزل الفرح حياتي... ليالي الحزن طالت وأبى نهار الفرح أن يعود... توشحت بالسواد منذ عقدين من السنين... حادث إرهابي يخطف سند عمري ليتركني أرملة الزمان... نعيش ثلاثتنا أرملة وطفلين يتيمين في سفينة الحياة بلا ربان.. تجرفنا السنين لشاطئ المجهول... يكبر ثمرتي عمري في سن الزهور... يزين الحب حياتهما... لم يفسد اختلاف ميولهما عشقهما ... الأكبر له ميول دينية والأصغر ميوله سياسية... يأتي اليوم الموعود... يتشاجران بحب كعادتهما... يتبادلان الأحضان قبل خروجهما... يتبادلان علم بلادهما... يتبادلان النكات قبل الوداع... يتراهن كل منهما بأن حزبه سيفوز... يذهب كل منهما للمظاهرة التي تضم تياره... بعد ساعات تقرر إحدى المظاهرتين التحرش بالأخرى... يحدث التصادم وتنطلق الأسلحة تحصد في الأرواح... كل فريق يتحرش بالأخر... يسقط أحد الأخوين قتيلاً... يشاهده شقيقه.. تتملكه هيستريا... يسرع إليه... ينحني يتحسسه... تأتيه طلقة طائشة... يسقط فوق جثة أخيه لتختلط الدماء ببعضها... يسقط العلم من يده فيسقط ليغطي جسد الأخوين.... يأتيني

الخبـر بالوفـاة... تـدور الأرض مـن تحتـي... بعـد صرخـة يطلقهـا قلبـي أسـقط أرضًـا غائبـة عـن الوعـي... يمـر الوقـت لأزفهمـا إلـى قبريهمـا شـهيدين.. يأتـي السـؤال في أي قبريـن سـيقبرون؟.. تأتـي الإجابـة: «لقـد خرجـوا مـن رحـم واحـدة فـلا تفرقهـم القبـور... واروا عليهـم التـراب فهـي أحـن عليهـم مـن لصـوص الوطـن»... أعـود لأجـد الحـزن قـد انتظرنـي وفي أحضانـه البـكاء.

●●●

obeikan.com

# صدى الصمت

"-أسدل الليل ستاره وأتيت إليك كعادتي... ولكن تلك المرة على غير العادة... لم أتي لأشكي إليك همومي... ولكن جئت لأنهي في أعماقك حياتي... دومًا آتي أحكي وأنت تسمع... وأستمد من حبك حماسي... صمتك كان يعلمني وحنينك كان يطببني... لم أسمع لصوتك غير صدى صمتي... ولكن على أي حال كنت أشعر بأنك تسمعني... كنت أتمنى لو أنك تتحدث لأطرب بصوتك قلبي.. ومن حكمة أزمانك تعلمني.»

أتاه الصوت من أعماق النيل هادئًا مملوءً بالحنين: تحدث فإني أسمعك من سنين.

اقشعر بدنه وتملكته الحيرة وتحدث متسائلاً: أأنت تحدثني؟.. إنك تتكلم!!! كيف وأنت لم ترد عليَّ كل هذه السنين؟

جاء الرد مسرعًا: سري لا أعطيه إلا لمن أحبني.. وبالحب تفتح كل أصفاد المستحيل.

اعتدل في جلسته وتلفت يمينًا وشمالاً فرحًا: إني لا أصدق نفسي فحبيبي بين يدي وصوته يسبح في أعماقي.. لقد جئت لأنهي معك حياتي، وها أنا أودع حياتي بمعجزة انتظرتها جيلاً بعد جيل.

بصوت حنون تساءل النيل: ولم تنهي حياتك والحياة هبة من رب العالمين؟

بمرارة أجاب: أنت تعلم ما يؤلمني فكل شكواي وآلامي دومًا أترنم بها في محرابك.

كأنه لا يعلم شيء ناداه: تحدث كأنك تتكلم للمرة الأولى.. ودع عن كاهلك آلامك.. وألقِ بها تحت أقدامك.. فأنت لا تدري أي هم ستقضي به حياتك.

تنهد من أعماقه وقال: عالمي الذي أعيشه لم أعد أتكيف الحياة فيه... بحثت عن الحب والإخلاص ولكن شعرت بأنه ضل عني الطريق... لم أكن أبحث عنه لنفسي ولكن كنت أبحث لأعطيه لهم ولكن مع كل مرة كانت ترجع خطايا بخفي حنين.

صمت النيل لحظات وقال: وهل وجدت هذا في كل عالمك؟

أجاب نافيًا: لا.. ليس كل من عاصرت حياتهم.. ولكن دومًا الجرح صداه يطغى على أي فرح وكأني لا أرى غيره في أيامي، ولياليه أطول من ليالي الشتاء الحزين.

جاء الرد من النيل قاسيًا: العيب عيب شخصك وليس عيب البشر... فطبعك أن شخصك ضعيف تركن أمام كل هم مهما صغر، وتتجاهل كل جمال حياتك وإن كان في حياتك منه الكثير.

نفى بشدة وكأن التهمة كانت قاسية: لا... لا... ليس هكذا... أخبرني كيف أفعل عندما أحب وأجد الحب يقابل بالغدر ونكران الجميل؟ كيف أفعل عندما أضحي وبعد تضحياتي أسهر الليالي حزينًا من ظلم من سهرت مشغولاً بهم وحزينًا لحزنهم وبعد عدد من السنين ينسون عملي وفي المقابل يذمون فعلي وكأني لهم عدو أو أن كل عمري كان لهم في عداوة ولم يكن فيه حب وإخلاص... لماذا كل حب وإخلاص يقابله هجر وعذاب... اكتب على كل حب ألا يدوم وكل إخلاص يرفق دومًا بالفراق؟

ضرب النيل الشاطئ بموجة ألقت برذاذها على وجهه فأسرت قشعريرة تسللت إلى جسده فاعترض على فعل النيل وقال: لِمَ تفعل هكذا؟

أجاب النيل لأفيق لك خيالك الذي سجنته في قمقم آمالك... إنك تخطئ دومًا بأن تنتظر لكل فعل نتيجة ولهذا تتعذب في أيامك... وتزيد خطأ باختيارك لمن تحبه أنك تعطي دومًا الحب لما لا يستحق.

صرخ وقال: إني لم أنتظر لخير فعلي نتيجة ولكن لم أكن أتصور أن يقابل حسن فعلي بهذا الجرم والجور.... أبعد كل هذا أكون أنا الظالم... والجاني عليَّ مظلومًا... أفي كل الحالات أتعذب... أتعذب في البداية لآلامه وأحزانه وبعد هجرهم أتعذب بخيانتهم وغدرهم.. وتأتي أنت لتعذبني بتأنيب الضمير وتضيف عليه أني أتحمل مسئولية ذلك.

قال النيل: وإلى متى ستتعذب؟ عذابك مدته ستزول وذكراهم معك لن تطول وما فعلوه معك لن يؤثر في حياتك أي شيء، وستمضي أيامك وكأنهم لم يكونوا.

جاء التساؤل مسرعًا: كيف؟

قال النيل: ألقمني بحجر؟

تملكته الدهشة ولكنه رد نافيًا: لا... لن أستطيع... يدي لن تطاوعني كيف أصوب طعنتي لمن أحبه ويحبني؟

ألح النيل وقال: سايرني ولا تعارضني.. فما ستفعله فيه مداواتك وإجابة لكل تساؤلاتك.

انحنى بصعوبة وأمسك ببطء حجرًا من على الشاطئ وبعد تردد ألقاه بهدوء في صفحة النيل.

بعد صوت الارتطام والاضطراب تحدث النيل: ماذا وجدت بعد فعلك؟... حجر صغير لا يساوي شيئًا أُلقى في صفحتي فاضطربت واهتزت الأمواج على وجهي.. وبعد هذا عاد الهدوء.... وأين الحجر الآن؟ إنه حبيس بداخل أعماقي ولكنه لا يساوي شيئًا كأنه بلا وجود بداخل عمقي الذي بلا نهاية... كذلك ما أصابك من صدمة تتعذب لأيام وحسب قوتك لن يضرك جرمهم ولن يعيقوا معك من حياة... كم ألقمني الناس بحجارة ولكني لم أتوقف عن الجريان... لا تدع صدمتك في

بعضهم توقفك عن الحب وعن فعل الخير تعلم مني أسلوب الحياة... انظر ماذا أفعل بمياهي؟ إن فيضاني يرسلها إلى شتى أنواع الأرض وليس شرطًا أن تنبت الزرع.. كل أرض ستنبت حسب أصلها.. الأرض الطيبة ستنبت كل خير والأرض البور لن تنبت أي شيء... فعلك سيظهر لك معادن البشر وسيظهر لك الخبيث منها. فوقت فيضاني تخرج المياه كل فئران الأرض وحشراتها فكل هؤلاء كانوا ساكنين في أحشائها ولكن الخير طردهم ولفظهم خارجها... مياهي عندما تذهب للأرض البور لا أترحم عليها... لأنه سيأتي إليها يوم من يحتاجها ويحفر آبارًا يروي بها عطش كل سبيل... ألق عنك الحكم على الناس وفتش أنت بداخلك عن سلبياتهم فقد تكون أنت أيضًا واحدًا منهم وتكون واحدًا ممن شاركوا في ظلمك... لا تيأس من البشر فكما أنك بحثت عن الخير ولم تجده فيهم سيأتي يومًا من يبحث عنك فلا تغير من نفسك لتتكيف معهم حتى تكون مستعدًا ليجدك يومًا من يبحث عن الأصل الجميل... ابحث في الأرض عن الخير ولا تنظر لها من ثقب صغير وسع أفق آمالك واطلق بالحب لقلبك عنانك.. الأيام ليست كلها ليل وليست كلها نهار وبالمثل السنة بالفصول أنواع... تنوع إحساسك بالحياة هو ما يعطيها تذوقها وحلاوتها ولن تأتي لك الحكمة إلا من المعاناة... دع لقدمك ترقص فرحًا بالحياة واطرب بقلبك الحزن والمعاناة... اللحن الجميل لن يأتي بعزف آلة واحدة ولكن بالتنوع تسمع أجمل الألحان.... لحن بنفسك

سيمفونية حياتك ولا تدع لغيرك يلون بفرشاته آمالك... لا تيأس فاليأس ذنب لن يغفره لك عمرك... سأدعك الآن تفكر في حياتك وتطبب بنفسك جروحك وآمالك.

ابتسم وقال: هل ستحدثني مرة أخرى؟

أتى الصوت مجيبًا وهو يبعد رويدًا رويدًا: ستجدني دومًا بداخلك والصوت الذي سمعته ما هو إلا صدى صمتك... نعم صدى صمتك وليس صدى صوتي.. وإن كان الجميع لا يعلم أن للصمت صدى.

●●●

ولادتي أمام عيني... تسحب القابلة رأسي... أولادي يمسحون رأسي بالماء... يدعو أبي الله باللطف.... أبنائي يبكون ويلقنون الشهادة... تصرخ الأم من الألم بينما القابلة تقول هانت..... أبنائي يدعون الله بالرحمة.... تخرج رأسي إلى الدنيا وتحاول القابلة إخراجي.... تتسع عيناي والنفس يزداد ضيقًا..... تسحبني إلى الخارج ثم يبدأ الصراخ مع أول نفس... تخرج الروح إلى بارئها..... تمسكني القابلة من أرجلي ثم تضرب بيدها على ظهري عدة ضربات ويستمر معها صراخي.... يمسح ولدي بيده على وجهي ليقفل عيناي... تخرج القابلة إلى ولدي تبشره مبروك ولد.... ترتفع أصوات البكاء بإنا لله وإنا إليه راجعون.

●●●

# صرخة ألم

أنام طريح الفراش صريع المرض والألم في انتظار الموت... الذي طالما انتظرته طويلاً ولكنه تأخر... تنتابني الآلام ويتقطع النفس وأكاد أتنفس بصعوبة... الآن أودع الدنيا وقد جاء من يودعني... لكن المودعين الآن غير من كانوا في انتظاري عند قدومي للدنيا... لقد كان في انتظاري آبائي وأجدادي... لكن الآن أحفادي وأبنائي... الكل قد تغير... الوحيد الموجود هو أنا... لقد قدمت إلى الدنيا وأنا أصرخ... ولم أعرف سبب صراخي... أصرخ كأنني أرفض المجيء إليها... أصرخ كأنني أعرف ما ينتظرني فيها... لكن وقتها لم أعرف سببًا للصراخ... ولكن مع مرور الأيام والسنين أدركت السبب.... صرخت من طول ليالي الظلم... صرخت من سكان هذا الزمن عندما قابلوا الإحسان بالإساءة... صرخت على حب ضاع ولم أجده... صرخت على وطن بحثت عنه ولم أسكنه..... والآن أودع الدنيا لكني غير قادر على الصراخ.... لكن صراخي المكتوم مقرون بفرحي بالرحيل.... قدمت إلى الدنيا وأنا تعيس بينما آبائي كانوا سعداء... وأودع الدنيا وأنا سعيد بينما أولادي تعساء... نفسي يتقطع وذكريات ولادتي أمام عيني... تسحب القابلة رأسي... أولادي يمسحون

رأسي بالماء... يدعو أبي الله باللطف.... أبنائي يبكون ويلقنون الشهادة... تصرخ الأم من الألم بينما القابلة تقول هانت..... أبنائي يدعون الله بالرحمة.... تخرج رأسي إلى الدنيا وتحاول القابلة إخراجي.... تتسع عيناي والنفس يزداد ضيقًا..... تسحبني إلى الخارج ثم يبدأ الصراخ مع أول نفس... تخرج الروح إلى بارئها..... تمسكني القابلة من أرجلي ثم تضرب بيدها على ظهري عدة ضربات ويستمر معها صراخي.... يمسح ولدي بيده على وجهي ليقفل عيناي... تخرج القابلة إلى ولدي تبشره مبروك ولد.... ترتفع أصوات البكاء بإنا لله وإنا إليه راجعون.

●●●

obeikan.com

| الفهرس | الصفحة |
|---|---|


إهداء:..... ٥

المقدمة:..... ٧

رقصات حزينة:..... ٩

رصاصة الحياة:..... ٣٧

أوهام منسية:..... ٦٧

قبلة الحياة :..... ٨٧

المرآة:..... ٨٩

الوحدة:..... ٩١

ملاك وشيطان:..... ٩٣

الأطلال:..... ٩٧

البكاء في أحضان الماضي:..... ٩٩

بين أنياب الزمن:..... ١٠١

بئر الخيانة:..... ١٠٥

انتحار:..... ١٠٧

لعنة الوفاء:..... ١١١

اللغز:..... ١١٣


obeikan.com

تذكرة سفر:..... ١١٧
الصعود إلى الأعماق:..... ١١٩
أربع مشاهد مع ستار النهاية:..... ١٢٨
غريق في أعماق النيران:..... ١٢٥
الموت... رصاصة الرحمة:..... ١٣١
رحلة الموت:..... ١٣٣
بين أنياب الماضي:..... ١٣٧
صوت من الماضي:..... ١٤١
الطوفان:..... ١٤٥
سراب من نار:..... ١٤٩
قطار الصعيد:..... ١٥٣
أدمنت البكاء:..... ١٥٥
صدى الصمت:..... ١٥٧
صرخة ألم:..... ١٦٣

obeikan.com

obeikan.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikan.com